

فن تربية الأطفال

طاعة الوالدين

تقديم فضيلة
الأستاذ الدكتور/ علي جمعة
مفتي الديار المصرية

تأليف
صبحي سليمان

دار الفاروق

فن تربية الأطفال

الناشر: دار الفاروق للنشر والتوزيع

☜ الحائزة على الجوائز الآتية ☞

جائزة النشر بمعرض الشارقة ٢٠٠٦

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٥

جائزة تقدير من اتحاد الناشرين الأردنيين في معرض عمان الدولي العاشر للكتاب لعام ٢٠٠٤

جائزة أفضل ناشر ثقافي عام في مصر لعام ٢٠٠٤

جائزة أفضل ناشر للأطفال والناشئة في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر مدرسي في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر للترجمة من وإلى اللغة العربية في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة الإبداع في مصر لعام ٢٠٠٢ (الجائزة الذهبية)

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠١

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٠

المركز الرابع كأفضل دار نشر على مستوى العالم في مجال الترجمة في معرض فرانكفورت عام ٢٠٠٠

فرع وسط البلد: ٣ شارع منصور – المبتديان – متفرع من شارع مجلس الشعب محطة مترو سعد زغلول – القاهرة – مصر.

تليفون: ٧٩٤٤٥١٥ (٠٠٢٠٢) – ٧٩٤٣٢٠٣ (٠٠٢٠٢)

فاكس: ٧٩٤٣٦٤٣ (٠٠٢٠٢)

الموزع الوحيد على مستوى الشرق الأوسط:

دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش.م.م)

العنوان الإلكتروني: www.darelfarouk.com.eg

الطبعة الثانية ٢٠٠٧

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

عدد الصفحات ٨٨ صفحة

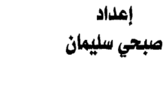
رقم الإيداع ٤٣٠٤ لسنة ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: 977-408-105-6



فن تربية الأطفال





إعداد
صبحي سليمان



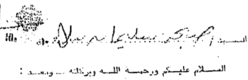
بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧
AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation



الأزهـــــر
مجمـــع البحـــوث الاســــلامية
الادارة العــــامة
للبحـــوث والتــأليف والترجمـــة





السيد /

السـلام عليـكم ورحمـــة اللــه وبركاته ـ وبعــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب :

تأليف

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

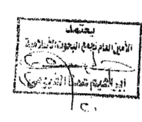
مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية الشريفـة .

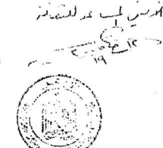
واللــه المـوفق ...

والســلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ...

مدير عـــام
ادارة البحوث والتأليف والترجمـــة

تحريرا في ١٦ / / ١٤٢٦ هـ
الموافق ١٨ / ١٢ / ٢٠٠٥ م





تقديم الكتاب

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه. وبعد،

فقد اعتنى الإسلام بالأطفال اعتناءً بالغاً، ولو نظرنا إلى أهم الشرائع والمقاصد في الدين الإسلامي سوف نجدها أنها كلها من أجل الطفولة والطفل، والطفل هو نبت الإنسان فإن صلح النبت صلح البناء، وقد حرم الله الزنى من أجل الحفاظ على الطفولة ونسل الأبناء، وجعل الحفاظ على النسل من الضروريات الخمس التي على أساسها بني التشريع الإسلامي.

كما جعل الإسلام اختيار الزوجة الصالحة من أجل الطفل، ومرحلة الطفولة من أهم مراحل الإنسان وأخطرها شأنًا، إذ هي مرحلة النقش، ومرحلة الغرس، فستكون الصورة على ما نقشت، ويكون الزرع على ما غرس.

وكذلك أحكام الحضانة في حالة انفصال الأبوين، كانت كلها لصالح الطفولة، وإيجاب النفقة والكسوة على الآباء في صالح الطفولة، واستحباب اختيار الاسم الحسن، فمن حق الابن على أبيه أن يختار له اسمًا حسنًا.

ولقد استنبط التربويون المسلمون من النصوص الشرعية أساليب التربية للأطفال التي أرشد إليها النبي ﷺ وكونوا علومًا في التربية، ومناهج قامت على تلك الأسس النبوية الشريفة، والإسلامية القويمة.

وكان النبي ﷺ يربي الأطفال بالحنان والحب والتوجيه السليم، فطالما كان يحمل أحفاده الحسن والحسين حتى في الصلاة، وينزل من على المنبر رحمة بهم، وقال لمن قال له لي عشرة أبناء لم أقبل واحدًا منهم: «من لا يرحم لا يرحم»[١].

بل نستطيع أن نقول إن الحياة النبوية عبادة وعادة كانت تتوقف أمام الطفولة، فيسرع ﷺ عند سماع بكاء الصغير، ويطيل السجود حتى ينتهي الحفيد من علوه على ظهره وهو ساجد، وينزل من المنبر في وسط الخطبة ليأخذ الحسن أو الحسين في حضنه لما رآه يحبو.

والكتاب الذي بين أيدينا لمؤلفه صبحي سليمان، وقد أسماه «فن تربية الأطفال» تكلم فيه عن مكانة الأطفال في الإسلام، وبين كيف اهتم القرآن بالحديث عن الذرية الطيبة، كما جاء عن سيدنا زكريا عليه السلام

ولقد أفاد في استخلاص جملة من الإرشادات النافعة في تربية الأطفال، وكذلك في مواجهة مرحلة المراهقة وهي الانتقال من طور الطفولة إلى طور الشباب، والتي يخطئ كثير من الناس في التعامل مع أبنائهم فيها.

إن أطفال اليوم، هم شباب الغد، وقادة المستقبل، وإذا أحسنا تنشئتهم كان ذلك سببا في رقي المجتمع، والشعب بأسره كما قال شوقي:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.

وهنا يأتي دور الأم وقيامها بوظيفتها التي خلقها الله من أجلها؛ لتخرج الحياة وتعمر الأرض وتربي النشء، ويا لها من مهمة جليلة عظيمة، ولكنها خطيرة لو كانوا يعلمون.

---

(١) رواه مسلم.



فالكتاب جيد في بابه، مفيد في موضوعه، قد وفق الكاتب إلى المزج بين الأساليب التربوية الحديثة والتأصيل الشرعي من نصوص الكتاب والسنة، نسأل الله أن ينفع به وبمؤلفه، وأن يجعله في ميزان حسنات مؤلفه يوم القيام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية



مقدمـــة

يهمل الكثير من الآباء والأمهات معرفة الطرق الصحيحة والأســاليب التربويــة – دينيًا ونفسيًا واجتماعيًا – في تعاملهم مع أبنائهم، بل نجد أكثر الآباء يتعاملون مع أبنائهم بلا منهج أو منطق بل بمجرد ما توارثوه هم أنفسهم عن آبائهم رغم اختلاف الظروف والأحوال في هذا الجيل عن الجيل السابق.

من هنا كانت الرغبة في عمل كتاب سهل مبسط يكــون مــدخلاً لكــل أب وأم يلتمس منه بعض الأسس السليمة في تنشئة وتربية الأبناء حيث وجــدنا – وكمــا سيتبين للقارئ – أن للتربية السليمة دورًا في تقوية شخصــية أولادنــا، كمــا أن للأخطاء التربوية أثرًا بالغًا في جعل شخصياتهم هشة هزيلة ومهزوزة.

لذا فعلى كل أب وأم أن يبحث عن كل ما يعلمه كيف يحــافظ علــى شخصــية أبنائه، بحيث ينشأ هؤلاء الأبناء نشأة قوية متزنة محافظين في الوقت نفســه علــى الأسس الإسلامية للتربية الصحيحة الفاعلة.

تربية الأطفال

إن جذوة الإيمان إذا توقدت في القلوب أنارت البصائر وأحيت الضمائر وزكت النفوس وهذبتها واستقامت بها الجوارح على نهج خالقها. وعندئذٍ، يتحول الإنسان إلى طود شامخ .. لا تزلزله الشهوات الآثمة ولا تغريه النزوات المُحرمة ولا تعبث به المصائب مهما اشتدت ولا تعصف به النوائب مهما عظمت؛ ذلك لأنه آمن بالله وتوكل عليه ووثق به وتوجه إليه ...

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]

والإنسان ليس آلة من الآلات؛ وإنما هو إنسان بروحه وجسمه وعقله ومشاعره، وهو محتاج لتغذية هذه الأمور كلها. وبعض الناس يُخطئون عندما يتعاملون مع أبنائهم دون أن يهتموا بمشاعرهم الإنسانية؛ فهم يتعاملون معهم كصاحب العمل الذي يتعامل مع عُماله أو كالقائد العسكري الذي يتعامل مع جنوده ... إن الأب أو الأم يتعامل مع الجسم فقط ويُهمل المشاعر الإنسانية المتواجدة داخل هذا الصغير من الناحية الفكرية والعقلية.

فكثير من الآباء والأمهات يُهملون جوانب وقضايا من قضايا التعامل مع الأبناء، ولكن لابد من التركيز عليها كاملة حتى يكون التعامل مع الأبناء شاملاً ومؤثرًا، وهذا التعامل الذي أتحدث عنه يختلف اختلافًا كليًا عن الأثر الناتج عنه بسبب محتوى الكلام؛ أو طريقة الكلام؛ أو السلوك المصاحب للكلام.

---

(١) الآية ٢٥٧ من سورة البقرة.

وفي هذا السياق، يذكر الطبيب النفسي الدكتور/ محمد كمال الشريف في كتابه "تربية الطفل" رؤية نفسية إسلامية، وهو الكتاب الثاني من سلسلة "بصائر نفسية إسلامية": "إن قوة الشخصية هي من مُستلزمات بلوغ درجة الخيار".

ويُتابع: "إن للتربية السليمة دورًا في تقوية شخصيات أولادنا، كما أن للأخطاء التربوية أثرًا بالغًا في جعل شخصياتهم هشة هزيلة ومهزومة. لذا، علينا أن نبحث عن كل ما يُعلمنا كيف نحافظ على شخصيات أولادنا؛ بحيث تنشأ قوية مُتزنة وأقرب إلى الطمأنينة".

ونجد أن كثيرًا من الأبناء تنتابه بعض الأنانية وحُب النفس، وهذه هي البداية. ونجد هنا أن الطفل قد نجح فيما يُريده ويسعى إليه؛ وهو جذب الانتباه إليه واكتساب مكانة له وسط الأسرة حتى لو كانت هذه المكانة هي أنه الطفل المُشاغب أو المشاكس؛ ويؤكد هذا الكلام الذي قُلناه تصرفات كثير من أطفال هذا الزمان؛ فبعضهم يُريد أن يكون الأول دائمًا – فهو يُحب أن يجلس على الكرسي الأمامي دائمًا، وهو لا يفعل كثيرًا من التنبيهات والمحاذير التي تم تنبيهه ولفت نظره لها ... إنه يُريد أن يقول لك: أنا موجود، أنا صاحب مكانة، أنا ذاتٌ تستحق الانتباه. وهو في المقابل أيضًا يقول: أنتم لا تنتبهون إليَّ، أنتم لا تعطون لي حقي من الاهتمام، أنتم تُقللون من قدري، أنا سأُجبركم على إعطائي الاهتمام الذي أستحقه رغمًا عن أنوفكم. ولذا، فإن التعامل مع هؤلاء الأطفال يكون بما يلي:

١- امنح طفلك الاهتمام والرعاية والحُب والحنان ليشعر بمكانته ويشعر باهتمامنا دون حاجة لأنْ يجبرنا على ذلك؛ بمعنى أن نُعطيه وقتًا كافيًا للتعامل معه والحديث معه واللعب معه ومشاركته اهتماماته وهواياته وتفقده وتَفَقُّد أحواله.

٢- أن نكف عن نعته بالمشاغبة أو العنف ونبدأ في الحديث عن إيجابياته وإنجازاته، فيفقد الفوائد التي كان يجنيها من جراء عُنفه ويرى أن سلوكه الحميد وإنجازاته بدأت تجلب إليه الاهتمام والمديح والمكانة، فيحرص عليها.

٣- يجب أن يشعر الصغير بأن هُناك قانونًا واحـدًا يحكـم الجميـع الكبـار والصغار؛ لأنه من دواعي العُنف لدى الأطفال شعورهم بالظلم وعدم العدل والمساواة بينهم وبين إخوتهم، فيكون ردّ فعلهم هو استخدام العنف سواء في الحصول على ما يرونه من حقوقهم أو في الانتقام ممن يرون أنه يهضـم حقوقهم أو ينتزعها منهم ...

ارتفاع مكانة الأطفال في الإسلام

ارتفاع مكانة الأبناء في الإسلام

للأولاد مكانة عالية في الإسلام؛ فإنهم إن لم ينفعوك في الدنيا بدعاء، نفعوك في الآخرة بعلو مرتبتك؛ ومكانتك لدى الله. وسنبدأ من البداية منذ أن تريد الزواج؛ حيث يقول الله تعالى:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(1)

فروى شعبة عن الحكم عن مجاهد، قال: "هو الولد".

وقاله الحكم وعكرمة والحسن البصري والسدي والضحاك.

وأرفع ما فيه ما رواه ابن سعد عن أبيه؛ حدثني عمي عن أبيه عن ابن عباس، قال: "هو الولد"

وقال ابن زيد "هو الجماع"

وقال قتادة: "ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم".

وعن ابن عباس رواية أخرى، قال: "ليلة القدر". والتحقيق أن يقال لما خفف الله عن الأمة بإباحة الجماع ليلة الصوم إلى طلوع الفجر — وكان المُجَامِع يغلب عليه حكم الشهوة وقضاء الوطر حتى لا يخطر بقلبه غير ذلك — أرشدهم سبحانه إلى أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة ولا يباشروها بحكم مجرد الشهود، بل يبتغوا بها ما

---

(1) من الآية 187 من سورة البقرة.

كتب الله لهم من الأجر والولد الذي يخرج من أصلابهم يعبد الله لا يشرك به شيئاً ــ ويبتغون ما أباح الله لهم من الرخصة بحكم محبته لقبول رخصه؛ فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته. ومما كتب لهم ليلة القدر، فأمروا أن يبتغوها، لكن يبقى أن يقال مما تعلق ذلك بإباحة مباشرة أزواجهم، فيقال:

"فيه إرشاد إلى ألا يشغلهم ما أبيح لهم من المباشرة عن طلب هذه الليلة التي هي خير من ألف شهر"، فكأنه سبحانه يقول:

"اقضوا وطركم من نسائكم ليلة الصيام ولا يشغلكم ذلك عن ابتغاء ما كتب لكم من هذه الليلة التي فضلكم بها"، والله أعلم ...

وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهي عن التبتل نهيًا شديدًا، ويقول: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة".(١)

وعن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي عليه السلام. فقال:

"إني أصبت امرأةً ذات حسن وجمال وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: "لا"، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: "تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم".(٢)

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "انكحوا أمهات الأولاد فإني أباهي بكم يوم القيامة".(٣)

وعن عائشة قالت؛ قال رسول الله ﷺ: "النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مُكاثر بكم الأمم".(٤)

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود وابن حبان.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه ابن ماجه.

وقد روى حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن العبد لترفع له الدرجة، فيقول: أي رب أنى لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك لك من بعدك".

استحباب تقبيل الأطفال

في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال:

قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: "إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدًا منهم".

فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: "من لا يرحم لا يرحم".

وفي المسند من حديث أم سلمة قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يومًا، إذ قال الخادم إن فاطمة وعليًا رضي الله عنهما بالسدة قالت: فقال لي: قومي فتنحي عن أهل بيتي، قالت: فقمت فتنحيت في البيت قريبًا، فدخل علي وفاطمة ومعها الحسن والحسين، وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليًا بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى؛ فَقَّبل فاطمة وقَبَّل عليًا، وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال ﷺ: "اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي".

قالت: فقلت: "وأنا يا رسول الله ...؟! "فقال: ﷺ و"أنت".

وفي طريق أخرى نحوه قال: إنك على خيرٍ.



تربية الأبناء في الإسلام

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1]

قال علي رضي الله عنه: "علموهم وأدبوهم"،

وقال الحسن: "مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير"

وفي المسند وسنن أبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال رسول الله ﷺ: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع".

ففي هذا الحديث ثلاثة آداب أمرهم بها وضربهم عليها والتفريق بينهم في المضاجع.

وفي تاريخ البخاري عن النبي ﷺ قال: "ما نحل والد ولدًا أفضل من أدب حسن".

وفي معجم الطبراني من حديث سماك عن جابر بن سمرة قال، قال رسول الله ﷺ:

"لأن يؤدب أحدكم ولده خيرٌ له من أن يتصدق كُل يوم بنصف صاع على المساكين".

وذكر البيهقي عن ابن عباس قال، قالوا: "يا رسول الله قد علمنا ماحق الوالد فما حق الولد؟ قال: "أن يُحسن اسمه؛ ويُحسن أدبه".

---

(١) الآية ٦ من سورة التحريم.

قال سفيان الثوري ينبغي للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه، وقال إن هذا الحديث من أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها؛ وقال عبد الله بن عمر: أدب ابنك فإنك مسؤول عنه، ماذا أدبته وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برك وطواعيته لك.

وذكر البيهقي عن أبي سعد وابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ:

"من ولد له ولد، فليُحسن اسمه وأدبه، فإذا بلغ فليزوجه، فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثمًا، فإنما إثمه على أبيه".

وقال سعيد بن منصور: حدثنا حزم قال: سمعت الحسن وسأله كثير بن زياد عن قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1]

فقال: يا أبا سعيد ما هذه القرة الأعين، أفي الدنيا أم في الآخرة؟.

قال: لا، بل والله في الدنيا.

قال: وما هي ...؟!

قال أن يرى الرجل المسلم من زوجته من أخيه من حميمه طاعة الله، ولا والله ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولدًا أو والدًا أو حميمًا أو أخًا مطيعًا لله عز وجل.[2]

---

(١) الآية ٧٤ من سورة الفرقان.

(٢) تفسير السيوطي ج٢ ص٢٨٤.

ومن حديث نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راع على الناس وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته".(١)

مشكلة الخجل

ومشكلة الخجل هي من المشكلات الأكثر انتشارًا بين الأطفال والمراهقين، وهي مشكلة مُختلفة تمامًا عن الحياء المحمود الذي وصفه النبي ﷺ: "الحياء من الإيمان".

ويُعرف الخجل بأنه نوع من العجز عن التكيف مع المُجتمع المحيط وعدم القدرة على الاتصال المناسب مع الآخرين، بحيث يبدو الطفل خجولاً صامتًا، يتحدث بصوت منخفض، ويتجنب التفاعل مع الآخرين، وهو غالبًا طفل غير محبوب؛ وهناك بعض المصطلحات الخاطئة التي تنتقل من أسرة لأخرى وهي (إن أفضل طفل هو الهادئ الذي تمر عليه الساعات ولا يتحرك من مكانه). فحينما يرى الطفل الخجول أن مجتمعه يرضى عنه، ويُكافأ بالإعجاب على هدوئه، يجدها فرصة لينطوي على نفسه أكثر ويتجنب الألم الذي يُسببه الاحتكاك بالآخرين ... وتتعقد مشكلة الخجل في مرحلة المراهقة إذا لم يتم معالجتها بشكل صحي من قبل الوالدين. ويُصبغ الخجول بعدة صفات، فالطفل الخجول يبدو أقل انطلاقًا وميلاً للحديث مع الآخرين. والأطفال الخجولون يحبون اللعب وحدهم، وهم حساسون، ولا يقدمون أنفسهم بشكل جيد. ويشعرون دائمًا بعدم الارتياح الداخلي عن أي موقف صغير. ويعانون من التوتر والقلق ويكونون غير مستقرين، ويشعرون بالاختلاف والنقص، ويظنون دائمًا أن الآخرين ينظرون إليهم بشكل سيئ، وبأن أي تصرف منهم إزاء المواقف المختلفة سوف يخفق ويجعل الآخرين يضحكون. وهذه

---

(١) رواه ابن حبان.



النظرة السلبية عن الذات تكون مصحوبة بسلوك اجتماعي غير مُناسب كالارتباك وعدم القدرة على التغير والشعور بالضغط النفسي إذا ما طلب منهم المشاركة في نشاط أمام الأصدقاء أو الصفوف؛ وغالبًا ما يكون الطفل الخجول طبيعيًّا في البيت، ولكن عندما يقابل أحدًا خارج المنزل، فإنه ينسحب وينكفئ إلى جوِّه الخاص المصحوب بالخوف من وجود الآخرين؛ ومن الجدير بالذكر أن الذكاء لا علاقة له بهذه المشكلة، فقد يكون الخجول ذكيًا أو متوسط الذكاء ... وهكذا.

والكثير من ضروب الخجل المؤلم يتوارثه الأبناء عن الآباء بالتربية، ويتعلمونه من إخوانهم، ويعززها المجتمع المحيط كالجدة والجد، وهو ما يُعمق من الخجل، ما لم يقف الوالدان وقفة جادة لإنقاذ ولدهما، حيث تؤثر المشكلة مستقبلاً على قدرة الطفل على التعايش والنجاح في المجتمع؛ ويبقى بعد أن عرفنا من هو الخجول؟ ولماذا يفعل ذلك؟ أن نتحدث قليلاً الآن وبشكل مختصر عن الأسباب المؤدية لزرع أو تكريس شعور الطفل بالخجل؛ وهي ما يلي:

١- مشاعر عدم الأمن ونقص الثقة بالذات حيال التعرض للمواقف مع الآخرين؛ ولهذا فالأطفال الخجولون نجدهم غالبًا مشغولون بتوفير الأمن لأنفسهم وتجنب الإحراج في مواقف الاتصال بالآخرين. وبالتالي، نتيجة هروبهم من هذه المواقف الاتصالية، يقل وعيهم بما يدور حولهم. فتقل بالتالي معرفتهم بالمهارات الاجتماعية للمجابهة، فيزداد خجلهم بالتالي. ولذلك يميل الخجول إلى مصاحبة الخجولين مثله؛ لأنه يجد الراحة معهم التي تجنبه الإحراج الذي يجده إذا صاحب المنطلقين اجتماعيًا.

٢- الحماية الزائدة من الوالدين للطفل النابعة من خوفهم على أبنائهم من الضرر. ولكن، في الواقع إن الآباء الذين يُضفون نوعًا من الحماية الزائدة على أطفالهم يصنعون منهم أشخاصًا جُبناء خجولين من اتخاذ قراراتهم بأنفسهم؛ لأنها تتسبب في إيجاد شخصية اعتمادية غير مغامرة وسلبية وجبانة أحيانًا؛ إذ لا يكون قد منحهم الآباء الثقة للاعتماد عليهم.

٣- كثرة النقد واللوم، وهو ما يطور حالة من الجبن والتردد لديهم والتي يعتقد الآباء أنها هي الطريقة لتعليم ولدهم الصحيح من الخطأ، والواقع أنها طريقة تقتل الإقدام والشجاعة والاعتماد على الذات.

٤- الإهمال، فالإهمال والحماية الزائدة كلاهما يتسببان في إيجاد الشخصية الخجولة. إن عدم رغبة الوالدين بوجود هذا الطفل أو إهمال الاهتمام به بشكل عام لا يدربه على الاستقلال، ولكنه يُصبح شخصًا خائفًا غير مُحاط بعناية تجعله يشعر بأهميته.

٥- تضارب طرق التربية بين الوالدين، وعدم الثبات في التعامل مع الطفل، فقد يكون الأب متساهلا مرّة، وحازمًا جدًا في مرات أخرى، وهو ما يفقد الطفل شعوره بالأمن، ويجعله لا يطمئن إلى والديه، وبخاصة إذا استخدما أسلوب التهديد في تأديبه. فحينها يتخذ الطفل موقفًا دفاعيًا، ويعتقد أن الأسلم له أن ينطوي على نفسه.

٦- نموذج الوالدين، حيث إن الوالدين الخجولين ينتجان ولدًا خجولاً يأخذ نمط حياة والديه. وكذلك إن انعدمت ثقة أحد الوالدين بنفسه وشعر بالخوف وعدم الثقة بالعالم من حوله، يتسرب إلى الطفل شعوره وينعكس على شخصيته فيجعلها مُهتزة وتنظر بتشكك في تفاعلها مع الآخرين.

٧- إطلاق الألقاب المهينة أو الدالة على خجله وكثرة الحديث عنه أمام الآخرين. فيمارس فعلاً ذلك؛ ليؤكد كلام الناس ويتعزز إيمانه أنه خجول ولن يكون أفضل من ذلك. فالطفل كما قلنا مرارًا يرى نفسه كما يراه والداه.

بعض الحلول المقترحة لحل مشكلة الخجل لدى طفلك:

١- التوقف حالا عن الحديث عن ابنك وكونه خجولاً؛ بل والتوقف تمامًا عن النقد واللوم بأيٍ من العبارات الدالة على ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر مثل:

لماذا لم يقل شيئًا إلى الآن؟! لماذا تصرف بغباء وخجل؟!..

إن هذا اللوم سيزيد المشكلة سوءًا، وعليك بالمقابل تقديم كم كبير من التشجيع والثناء لأي مشاركة بسيطة أو تقدم يُحرزه ابنك؛ ومكافأته على ذلك؛ وفي نفس الوقت التوقف عن مشاركته في أيٍ من الأنشطة التي توقظ فيه الشعور بالخجل، وذلك كي يستعيد ولدك الثقة والهدوء بما حوله كي نضمن أن نبدأ معه ويتفهم ويتعاون معنا في تحسين نفسه.

٢- وفي المقابل شجعه على الاشتراك في النشاطات الاجتماعية التي يرغب بها تدريجيًا؛ ودون ضغط عليه، بل بالحوار والمحبة. فكافئ أية صداقة جديدة؛ أو مكالمة هاتفية أجراها طفلك مع صديق له. ثُم رتِّب حفلات صغيرة أو استضافة لهذا الصديق الذي كلّمه طفلك. ثم في المرة التالية، قم بزيادة العدد تدريجيًا؛ ثُم شجعه على اللعب في النادي أو مع أولاد الحي لأن ذلك يُنمّي جوانب كثيرة في شخصية الطفل ويصقلها؛ لأنه سيتعلم من خلال التعامل مع السيئ والحسن. وسيرى المجتمع بوجوهه المتعددة وسيشعره ذلك بأنه يعتمد عليه في مواجهة الأصدقاء والناس.

٣- اعمل مع زوجتك على إحاطة أولادك بجو أسري سعيد، واحرصا على القيام بنشاطات اجتماعية جماعية كالرحلات والسهرات المنزلية. وأيضًا اتركا لهم فُرصة الاشتراك في مناقشة أمر من أمور الأسرة، واستمعا لهم بكل اهتمام وثقة، وشجعوهم على إبداء آرائهم دون إسكات لهم أو إهمال عما يتحدثون به. فمعيشة الأطفال في جو دافئ وسعيد دون أوامر وقوانين وأنظمة يومية يشعر الطفل أن أسرته تسنده وتعُينه وتحترم رأيه وأنه محبوب ومرغوب من قبل الجميع. وهذه خطوات أساسية على طريق اكتساب الطفل للثقة الأساسية في نفسه وقدراته التي هي جواز سفر شرعي للتحليق في المجتمع الأكبر الذي يعيش فيه الطفل نحو الانضمام بخطوات ثابتة لعالم الكبار.

٤- شجع أبناءك على الجرأة، وأن يطلبوا ما يريدون بصراحة دون تردد وأن يتعلموا كيف يتغلبون على الجبن والخوف والحرج من التعبير عن أنفسهم.

٥- سيُساعد ممارسة أبنائك لأنواع الرياضة والفنون المُختلفة في زيادة قوة الشخصية لديهم والتطور الذهني عندهم. وسوف يُحسن من نظرة أطفالك نحو أنفسهم فكل نجاح أو إنجاز في النشاطات سيُضيف إلى رصيد ثقتهم بأنفسهم.

اجعل ابنك قوي العزيمة

فالعزم صفة نفسية تتجلى فيها قُدرة الإنسان على مقاومة هواه إن أمره هذا الهوى بما يضره؛ فهذه الصفة من أهم صفات الشخصية الناضجة المتوازنة المُطمئنة القوية. ولهذا، وجدنا أن مما عاب الله به على آدم عليه السلام حين وقع في المعصية أنه كان ضعيف العزم؛ قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ (١)

ولهذا الأمر قواعده وفنونه التي تربى عليها الرعيل الأول من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم جميعًا – فعُرف عن أولادهم الإقدام والشجاعة والثقة بالنفس. فكَمْ كان عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – واثقًا من نفسه حينما مرّ سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فلم يَجْرِ من أمامه كما فعل باقي الصبيان. وكَمْ كان سمرة بن جندب واثقًا من نفسه عندما ألحَّ على رسول الله ﷺ في أن يجيز مشاركته بجيش المسلمين، فقد قال: أجاز – يعني رسول الله ﷺ – رافعًا وردَّني مع أني أصرعه. فأمرهما ﷺ أن يتصارعا فغلب سمرة رافعًا، فضحك رسول الله ﷺ وأجازهما معًا (٢)

---

(١) الآية ١١٥ من سورة طه.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ٤، صـ١٥، مكتبة المعارف- بيروت ط١٩٩٤، وسيرة بن هشام جـ٤، صـ١٢ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد القاهرة، د. ت



وما فعله الرسول ﷺ هو المطلوب لتربية النشء على الشجاعة والإقدام والثقة بالنفس، وهو الاعتراف بالقدرات الذاتية للطفل، وإتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن هذه القدرات والمهارات ... فماذا كان سيحدث لو أن الرسول ﷺ رفض إجازة سمرة بن جندب وخروجه معه متحججًا بصغر سنه؟ أعتقد أن سمرة سيعتبر ذلك استهزاءً واستخفافًا بقدراته الحقيقية، وستبعد عنه صفة المبادرة والإقدام والثقة بالنفس. وللأسف هذا ما يفعله اليوم كثير من الآباء والأمهات حيث يقولون لأبنائهم: إنك صغير، إنك لا تصلح لشيء ... كم أنت غبي ...

ألا نسمع هذه التعبيرات ليلاً ونهارًا، ولا يدري الأهل أنهم بذلك يغرقون أبناءهم في بحر من الإحباط. ويزيد الطين بلة إذا أفرط الأهل في توقعاتهم من صغارهم، أو اهتموا بصورة مفرطة بنظرة الآخرين إلى أطفالهم. ورغبتهم في أن يظهر الأولاد دومًا بمظهر حسن. فينشأ الفتى أو الفتاة مُفرطًا في حساسيته من تعليقات ونقد الآخرين. ومن ناحية أخرى، قد يُفرط الأهل في حمايتهم وقلقهم على أطفالهم فيعملون على زعزعة ثقتهم بنفسهم، فكلما صنعنا بأنفسنا ما يمكن للطفل أن يقوم به بنفسه، مثل ربطنا له رباط الحذاء؛ أرسلنا له رسالة خاطئة مفادها:

نحن أكبر منك، وأكثر قدرة على صُنع هذه الأشياء؛ وأغنى خبرةً، وأكثر أهمية، أما أنت فصغير غير قادر ولا نثق بك.

هناك بعض الخطوات التي يجب مراعاتها في تعاملاتنا اليومية مع أطفالنا؛ ومنها ما يلي:

١- إشعار الطفل دومًا بأنه مرغوب فيه، بل إنه من أسباب السعادة لأمه ولأبيه. ولا يحتاج ذلك لكثير من الكلام بالابتسامة والاحتضان دون إفراط واللعب مع الابن أو الابنة باستمتاع دون ضجر. وهذا يرسخ في الصغير رسالة مفادها: نحن نحبك؛ وأنت تعني بالنسبة لنا الكثير.

٢- الاعتراف باستقلال الولد الذاتي، وذلك بعدم فرض رقابة ساحقة مفرطة على كل حركة وكلمة وسكنة؛ فإن ذلك يعمل على إهداء الطفل في هذه

السن أثمن هدية يمكن تقديمها له ألا وهي: حُرية الاكتشاف لما حوله ومجابهة بعض الأمور بمساعدة ورعاية وتشجيع من الأهل.

فلا مانع من أن يسمح الوالدان لطفلهما الذي بلغ الرابعة بلبس قميصه وحده، وأيضًا تركه ليتعلم غسيل الأسنان وحده وذلك كي يعتاد على تلك الأشياء وتصبح أشياء بسيطة يقوم بها مع نهاية السنة الرابعة وحده. ولا مانع من إعطائه الحُرية للتجول بمفرده في الحديقة (تحت مُراقبة عن بُعْد)، وكذلك، لا مانع من إعطائه مبلغًا بسيطًا من المال ليعطيها للبائع؛ ويبدأ تعلم الشراء.

٣- تشجيع محاولات الطفل لتنمية مهاراته الذاتية، بل وتهيئة البيئة المنزلية لتقبل الأخطاء المتكررة، وهناك قول لعالِم نفس فرنسي يقول:

إن تنظيف الطفل ــ وبخاصة عند محاولاته للاستقلال في أثناء الأكل - أسهل بكثير من أن نُعيد إليه الإقدام الذي فقده. فلنترك للصغير فرصة ليُثبت لنفسه وللآخرين أنه كائن مُستقل وصاحب قُدرات ذاتية صحيح أنها ما زالت في طور النمو، ولكنها موجودة؛ ولذلك لا بد أن تُحترم.

وإليك مثال على السلوك الصحيح في مواجهة أخطاء الصغار ذوي السنوات الأربع: يُطلب من الصغير إحضار أي شيء من الثلاجة، ونجعله يفتح الثلاجة ويستخرج الشيء المراد، ولكن تجده يخطيء في شيء ما ويقع طبق أو دورق ماء أو ما شابه ذلك؛ فيبكي الصغير لذلك، فبدلا من أن تضرب الأم صغيرها على ذلك؛ فلتتذكر حديث العالم الفرنسي؛ وتقول له: لا بأس يا صغيري ... يقينًا لم تكن تقصد ... لقد وقع منك هذا الشيء خطأ؛ تعال نحاول أن نعرف معًا أين كان الخطأ؟ لعله خطئي لأنني لم أحذرك من وقوع هذا الشيء، ولكن كان عليك الحذر قليلاً ... هيا بنا لنتسابق ونرى من منا أسرع في إحضار أدوات التنظيف ..

٤- فهم قدرات الطفل في هذه المرحلة السنية وعدم الإفراط في التوقعات. وهذا التحذير مهم بصفة خاصة مع التحاق الصغير بالروضة. فلا نتوقع منه الخط الجميل، والرسم الرائع أو حتى الأدب الجم في السنة الأولى؛ لأن كُل هذه الأمور تأتي بالتدريب، والتمرين وتحتاج إلى وقت. فلا حاجة للمُبالغة في التذكير بهذه الأمور والتركيز عليها. ولكن، ليكن دور الأهل هو تعويد الطفل في هذه السن على "العادات المدرسية" كالجلوس الصحيح وترتيب الحقيبة والنظام في ترتيب حاجيات المدرسة ... إلخ.

٥- إغفال التعليقات السلبية وتعليم الطفل كيف يواجه هذه التعليقات بأدب ودون خجل. فإذا كان هناك نقد معين لعيب خلقي فيه كالقصر أو الطول الزائد، فليتعلم الطفل كيف لا يهتم لمثل هذه التعليقات وكيف يرد عليها، بل ويُشجع الطفل المتسم بعيب خلقي معين على فرض نجاحاته أمام الجميع. وتُقرأ أمامه بصوت مسموع وبنبرة كلها إعجاب وافتخار أخبار المُعاقين الحائزين على المراكز الأولى في المسابقات العالمية.

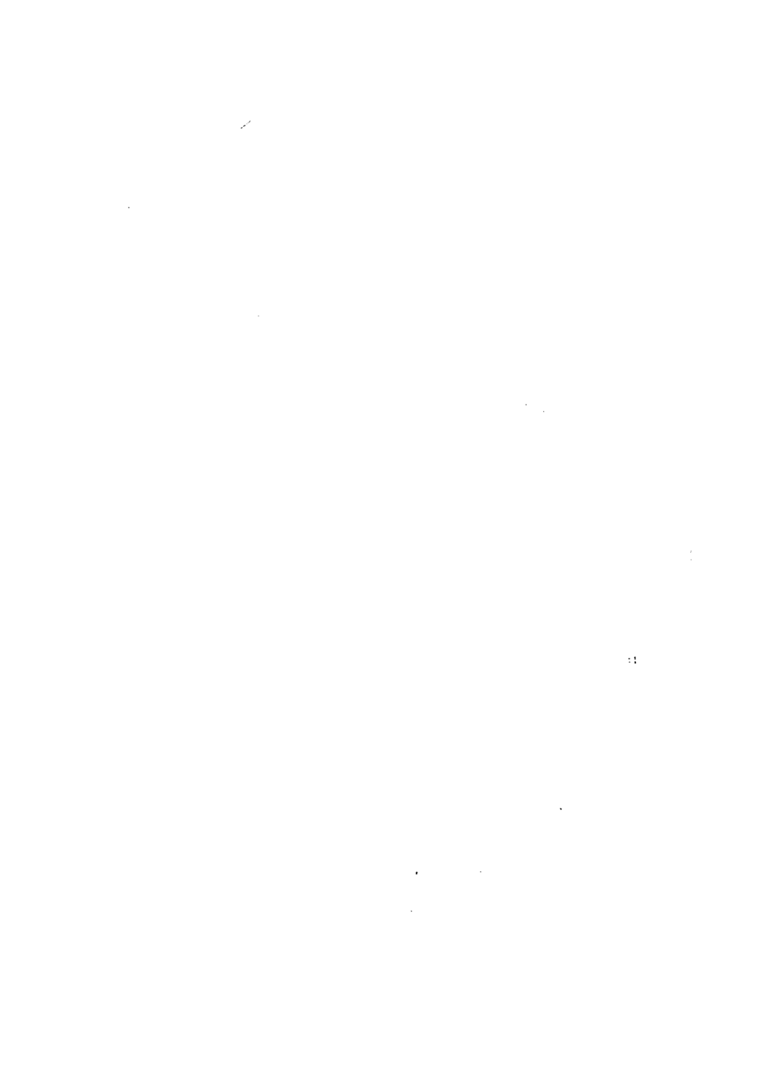
٦- مهما كثرت مشاغلنا، يبقى الحديث الحر والحوار الهادئ واللعب من الأمور التي تعظّم لدى الصغير حبنا له واهتمامنا به. فقد يكون الوقت محدودًا جدًّا، ولكن المهم دومًا أن يوجد هذا الوقت وأن يتكرر بانتظام وأن نعوّض في هذه الحالة بكثافة حضورنا ونوعيته، نقصه الكمي. وصدق الكاتب "كوستي بندلي" حينما قال: هكذا، يشعر ولدنا أنه مهم بنظرنا بحد ذاته، وليس فقط كموضوع عناية جسدية أو تدريس أو تهذيب ... كإنسان مثلنا وليس فقط كولد أو تلميذ، وأنه يستطيع أن تكون علاقته بنا فاعلاً وليس مفعولاً به أو منفعلاً، مسموعًا وليس فقط مستمعًا. فتنمو من جراء ذلك ثقته بنفسه. أما نحن الآباء فسنجد مُتعة خاصة في هذه الأوقات التي يُتاح لنا فيها أن نُعايش أولادنا ونتعرف عليهم عن كَثَب لأنهم حينئذ، سينطلقون على سجيتهم ولن يكتفوا برسم الدور الذي نرسمه لهم ونُلبسهم إياه.

ولم يكن مُخطئًا ذلك العالم النفسي "دودسون" حينما سأل الآباء:

أليس صحيحًا أنكم تقضون ٩٩٪ من أوقاتكم مع أبنائكم في إصدار الأوامر؟!، إنها حقيقة مُرعبة إذا ما كُتِبت وكتبت بعدها هذه الإحصائية:

٨٠٪ من حالات التمرد المرضية التي تُلاحظ عند المراهقين كان بالإمكان تلافيها لو أن الأهل أعطوا لأنفسهم الوقت الكافي لبناء العلاقة الحميمة العميقة مع الطفل في أعوامه الأولى.

٧- أما الخطوة الأخيرة وهي الأكثر عملية، فهي أن تمسكي كتاب الحواديت مثلاً وتقومي بسرد حكاية جميلة لطفلك أو أن تتنزها معًا في حديقة الحيوان أو أن تلعبا معًا بالمكعبات؛ فهذه أمور مهمة تُدخل البهجة والسرور على نفسية الطفل وتجعله سوي الشخصية.



كيف تتعامل مع طفلك الغاضب؟

كثيرًا ما يتنزه الأبوان مع صغارهما خارج البيت وتكون الساعات جميلة وممتعة. ويستمتع الصغير بمثل هذه النزهات الجميلة، ولكن تتحول تلك النزهة إلى شيء لا يُطاق عندما يهم الوالدان بالرحيل، حيث يُصر الصغير على عدم الرحيل؛ فيصرخ بشدة ويبدأ في البكاء بحرقة، ثُم يصيح. وقبل أن يستوعب الأبوان الأمر، يرتمي الصغير على الأرض ويضرب بقدميه ويعض على أسنانه إذا لم يحصل على ما يريد. ومثل هذه المشاهد تتكرر من الصغار دون أن يُدرك الوالدان الطريقة الصحيحة للتعامل معه، ولكن لا داع للخوف من تلك النوبات التي قد يعتبرها الأبوان لحظات شديدة الإحباط، وأحيانًا شديدة الحرج. والسؤال الآن هو:

لماذا تحدث نوبات الغضب هذه؟!

أحيانًا كثيرة، يُعاني الأبوان من مثل تلك الأمور، مما يضطرهما لضرب الطفل؛ حيث تجد الأم صغيرها يترنح بين مشاعر عدة. ففي لحظة، يكون مُبتهجًا ومُمتلئًا بالنشوة، وفي أخرى، يكون مشحونًا بالألم – وبخاصة في أثناء نوبة غضبه، ولكن ما لا يعلمه الأبوان أن نوبة الغضب هذه تُشكل صمام أمان لطفلهما – ويُمرر من خلالها توتره بطرق يعتبرها مألوفة بالنسبة له. وهذا التوتر الذي يشتمل على جميع أنواع المشاعر التي تنطلق في صورة صرخات وصيحات وضرب وتشبث وغيرها من ردود الأفعال هو تعبير عما بداخله، ولكن بصورة فظة نوعًا ما.

وكتبت د. "دارلافيرس ميلر" في كتابها "مُرشد الطفل الإيجابي" قائلة:

قُدرة الطفل على الفرح والحذر والغضب تتكون لديه قبل أن يتم ستة أشهر، وعند بلوغ تسعة أشهر، يحدث تطور وزيادة مُفاجئة في انطلاق هذه المشاعر. وحينما يكبر الأطفال، يتعلمون تدريجيًّا التعبير عن هذه المشاعر بطريقة مقبولة اجتماعيًا، ولكنهم لا يطوّرون قدرتهم على التحكم بنفس القدر الذي تتطور به

المشاعر والأحاسيس لديهم. ومن هنا، فإن الأطفال عادةً ما يندفعون في نوبات غضب على غير عادة الكبار الذين يتعلمون التفكير أولا.

لذا، فيمكنك التعامل مع نوبات غضب طفلك الصغير دون الحاجة إلى دراسة سيكولوجية الطفل، ويأتي "التواصل الفعّال" على قمة العوامل الناجحة في هذا الشأن. وهذا يستدعي أمرين هما:

الأول: الاستماع المؤثر   الثاني: الاستجابات المؤثرة

فحتى تعرفي أيتها الأم ما يريده طفلك فعليك الاستماع له. ومن الجوانب المؤثرة في مهارات الاستماع: الوضع أو الجلسة الصحيحة، مثل: الانحناء إلى مستواه مثلاً، والانتباه المركز له كالتواصل بالعينين والصمت حينما يحاول شرح احتياجاته والاستجابة المناسبة التي تتضمن الخطاب الهادئ والابتعاد عن كلمات الوعيد والتهديد واستخدام اللغة اللامنطوقة (غير الشفهية) مثل: الإيماء والابتسام واللمس. فإن توظيف عامليْ الاستماع المؤثر والاستجابات المؤثرة معًا يتناسب وبشكل رائع في التعامل مع نوبات الغضب.

وأخيرًا، تصف د. "فيس بيلر" هذه النوبات بأنها قد تتشابه مع الأسئلة التي يطرحها الطفل رغبةً في المعلومة أو التأثير فقد يسأل الطفل: أين أمي؟!

لأنه يريد المعلومة وهو نفس السؤال الذي قد يترجم رغبته في الانتباه إليه، فقد يكون السؤال مناشدة أو التماسًا مثل: اسمعي، وأظهري اهتمامك بي.

فلنحاول أن نفهم الرسائل التي يبعث بها الصغار إلينا نحن الآباء حتى لو كانت رسائل غاضبة بعض الشيء.

الأسباب الرئيسية للعند

يتحدث عن هذا الموضوع الأستاذ "محمد حسين" في كتابه "العشرة الطيبة مع الأبناء" فيقول:



(... والنفس مجبولة على فعل الخير والشر، وتستجيب للأمر والنهي، وترغب في النافع وتستجلبه وتكره الضار وتدفعه، كما أنها تزكو بفعل الخير وتنتكس بفعل الشر.. والطفل خامة بشرية قابلة للتشكيل بالفطرة. والذي يتولى رعايته في سنوات طفولته هو الذي يكوّن خصائص وصفات شخصيته ...

والطفل لديه القدرة على فعل الصواب وفعل الخطأ، ولكنه قد لا يعرف الفرق بينهما. لذلك يكون أسلوب الثواب والعقاب مع الطفل غايته تعليمه الصواب والخطأ وأن يمتنع عن تكرار الخطأ؛ فهو للتعلم والزجر، ولكنه للكبار للزجر والتنكيل...).

بالنظر إلى حديث الأستاذ "محمد حسين"، نجد أن الطفل خامة بشرية جيدة وحسنة. وإذا أخذت المسار الصحيح، نتج عنها شخص سوي الشخصية؛ ولكن المراحل العمرية والتجارب الإنسانية التي يمر بها الطفل هي التي تشكل شخصيته وتصقلها... فمثلا، هل وُلد بشخصية عدوانية منذ الميلاد أم اكتسب هذه الشخصية لحدوث أمر طارئ، مثل: ميلاد أخيه الأصغر مثلا؟! وكم عدد السنوات التي تفصل بينه وبين أخيه؟ وما طبيعة العلاقة بينه وبين أخيه؟ وهل كان ميلاد الأخ حدثًا سعيدًا في حياته؛ أم لم يتم تهيئة الصغير لهذا الأمر؟!

كما يجب أن تعاملي الأبناء معاملةً ممتازةً؛ ولا تفرقي بينه وبين أخيه ... فيجب أن تخصصي له نفس الوقت المخصص للابن الأول وتعطيه نفس الاهتمام الذي تعطينه لأخيه من اللعب، ومُراعاة خصوصيته بتخصيص وقت خاص به فقط بعيدًا عن أخيه للّعب معه واحتضانه والحديث معه كالأيام الأولى معه ...

ويجب أن ننتبه للمراحل العمرية لصغارنا كي نتعامل معهم كما ينبغي؛ فمرحلة الـ ٣ سنوات مثلاً تتسم بالعناد عند الطفل وتُعرف بمرحلة "الرغبات المضادة" لأنها بداية لنمو شخصية الطفل وبداية إعلانه لرغبته في حق الاستقلال والانفصال، حيث يبدأ الطفل في هذه المرحلة باستجماع كُل طاقته ليُعلن بخطوات ملؤها الإصرار رغبته في الانفصال نفسيًا عن الآخر. وبالتأكيد، فإن ما مرَّ بالطفل في

خلال سنواته الـ ٣ السابقة وكوَّن شخصيته يبدأ في الظهور في أفعاله وتصرفاته؛ فإذا كان يُعامل بعنف يتحول إلى عند في السلوك.

وإذا اجتمع مع العنف غيره ولم يُساعد الأب أو الأم في سحب الطفل وشغله عن اهتمام أمه بأخيه الأصغر طوال الوقت، تحول إلى عدوان وكراهية وهكذا ... لذا حاولي شغله عن أخيه ودون عنف حتى لا يشعر أن أخاه يأخذ اهتمامًا أكثر منه. وسنورد لك عزيزي المربي مقترحات عملية لتجاوز مشكلة الغيرة بين الأشقاء؛ وهي كما يلي:

١- هُناك قاعدة عامة يمكن أن نسميها قانونًا وقائيًا لتفادي الاصطدام بعِند الصغار؛ وهي: **(مع بداية موقف العِنْد، حاول تحويل انتباه طفلك إلى شيء يهمه ويحبه، وذلك حتى لا نصل نحن الآباء إلى لحظة الغضب التي تُدخلنا في موقف العند مع أبنائنا).**

والمقصود بتحويل اهتمام الطفل تحويل انتباهه إلى شيء يُحبه، فمثلا: يبدأ الطفل في إصدار صوت يُشبه العويل والصراخ، فيقول له الأب:

ـ حبيبي، لا تُصدر هذا الصوت إنه مُزعج ...

فيقوم به مرة ثانية. وعندها، توقف عزيزي المربي عن الأمر تمامًا وحول الأمر إلى شيء آخر؛ فاطلب منه مثلاً بشكل مرح أن يقلِّد صوت الحيوان الذي يحبُّه أو الذي رآه في حديقة الحيوان ... فقل له مثلا: هل تستطيع أن تقلد صوت القطة ... هيا قلد صوت القطة ... أو تطلب منه مثلا أن يُرتب لعبته التي بعثرها على الأرض فيرفض، وساعتها تقول له: من سيجمع لعبًا أكثر؛ وأسرع سيأكل الكعكة الجميلة، أو أي شيء يُحبه ... وهكذا.

ولاحظ عزيزي المربي أنه ليس في تحويل اهتمام الطفل عندما يبدأ موقف العند أي انكسار لنا أمام أطفالنا أو خروجهم عن سيطرتنا، وإنما هي حماية لنا من أن نصل إلى مرحلة الغضب التي سنخسر بها كل شيء؛ لأننا لو وصلنا إلى هذه

المرحلة، فسوف نتحرك من دافع غضبنا الذي سيطفئ سراج عقلنا ويحولنا إلى أداة هدم نكسر الأبنية النفسية لأطفالنا ونهدمها بدلاً من أن نبنيها. حتى ولو كان هذا الغضب صراخًا فقط، فسيكون من القوة لإحداث شرخ ما في بنية أطفالنا النفسية، وقد لا نرى أثره إلا على نفسية أطفالنا عندما يكبرون؛ وعليك أن تختار أسلوبًا من اثنين للتعامل مع طفلك:

أولاً: إما إقامة حوار معه، وسحبه بما يشغله عن عناده

ثانيًا: الدخول معه في عناد مضادٍّ وكسره وتحطيمه نفسيًا في النهاية

احب صغيرك يمنحك طاعته

كثيرًا ما يسأل الصغير أحد والديه قائلاً: أتحبني يا أبي (يا أمي)؟!

وسؤال الصغير الدائم عن حب أحد الوالدين له وعن حجمه قليلاً أو كثيرًا بهذه الصورة ينمّ عن حاجته الماسة إلى الأب أو الأم؛ فمثلاً قد يرجع هذا إلى انشغال الأم بالحمل والإنجاب لطفل جديد، ففجأة قد وجد الصغير طفلاً جديدًا يُنازعه عرشه ومكانته، واهتمام الأم والأب والأقارب؛ فلقد تحول كل هذا منه إلى غيره، وكثيرًا ما نجد أن ذلك الصغير ليس هو الوحيد بل هو الطفل الأوسط مثلاً؛ فنجد أن الأم مشغولة بالحمل؛ والأب مشغول بالعمل؛ والولد الأكبر منه مدلل ومشغول بالمدرسة؛ كما أن الطفل الأكبر ينال نصيب الأسد من المدح لصفاته الممتازة فتقول الأم: إنه هادئ؛ وممتاز؛ ومتفوق.

فكل هذه الصفات حقيقية ومتواجدة في الطفل الكبير أما الطفل الأوسط فهو كالزهرة في مهب الرياح العاتية؛ فهو لا يدري ما مقدار حب والدته أو والده له؛ فنجده يكرر سؤاله الدائم عن مقدار حُب الوالدين له.

وما يقوله ما هو إلا محاولة مستميتة لتثبيت الجذور في أرض صلبة، ومحاولة للتأكد من أن حضن الأبوين الدافئ ما زال موجودًا، فيتخيل الصغير أن أخاه هو الجيد والمحبب إلى والديه؛ وأنه هو المزعج؛ وغير المرغوب فيه، وإن كان لا

يتفوه بذلك ولكن عقله الباطن يترسب به هذا، وهذا من أخطر ما يكون؛ لأن ذلك يعمل على اضطراب في شخصية الطفل مما يعمل على انزعاج الوالدين؛ وتأكدهما من صعوبة تحسين سلوكه، وهذا يؤدي إلى إحساس الوالدين باليأس والغيظ والتأفف من هذا الطفل المزعج الذي لا يتحول عن تلك الأعمال المزعجة؛ والذي يحول حياة الوالدين إلى مأساة حقيقية.

وليس هناك عقاب أسوأ ولا أشد إيلامًا على الصغير من إحساس الطفل أنه فقد حُب أمه؛ لأن هذا هو حصنه الحصين والأمين من أي شيء يخشاه، فإذا فقد الإحساس بالأمان فإن الصغير قد فقد معه الرغبة في تحسين السلوك؛ أو في الانصياع إلى أي أوامر. والعلاج لا يبدأ إلا بعد تفهم تام لهذه النفسية، وبالتالي لابد أولاً من قبول هذه النفسية وتقبلها كما هي، ثم بعد ذلك يأتي الاقتناع الثاني ألا وهو إدراك أن كل مزاج نفسي قابل للتطور والصقل باستمرار إذا اتبعت الخطوات السليمة.

والخطوات السليمة في علاج مثل هذا الصغير هي:

١- ابتعد عن أسلوب الضرب تمامًا، فالضرب لن يزيد الطين إلا بِلَّة؛ لأن الضرب هو الدليل المؤكد لإثبات تهمة "عدم حبكم له"؛ وذلك ما يعمل على تعقيد الأمور أكثر.

٢- احذر كلمات النقد والتوبيخ وخصوصًا الممزوجة بنبرة الغيظ أو التأفف؛ لأنه يقوي مشكلة عدم حبك له، واحذر المقارنة الظاهرة أو الباطنة بين الإخوة.

٣- تعامل مع الصغير بود وحنان في كُل همسة ولمسة وكلمة وحركة صحيحة وسليمة؛ فأي عمل تقوم به مهما صغر أو كبر، هو بالنسبة للصغير يعمل على تغيير ما في نفسيته إيجابًا أو سلبًا.



٤- خصص لصغيرك نصف ساعة يوميًا له وحده، وهنا لنكن واقعيين؛ اقترح الخروج معه لشراء أي شيء من خارج المنزل وحده بعيدًا عن إخوته، وخلال الطريق كلّمه عن سعادتك لأنه يُرافقك ويُساعدك.

٥- استشره في أمور البيت وملابسك.

٦- حاول اكتشاف موهبة لديه، فهذا يُفيد من ناحيتين هما ما يلي:

أولاً: سيجعله ذلك ينشغل قليلاً في شيء ما عن الأمور التي تزعجك كالإلحاح في الطلبات مثلاً.

ثانيًا: شارك صغيرك في عملية البحث عن "موهبته" ودعم ثقته بنفسه؛ وبأنك فعلاً تهتم به وبأموره الخاصة.

٧- لا تكن "أوامرك" لصغيرك أوامر عسكرية صارمة؛ بل تعال لنتعلم من خير خلق الله ﷺ كيف كان يحث أصحابه الكرام رضي الله عنهم على فعل الأوامر حيث كان يقول: "صلُّوا كما رأيتموني أصلي". [(١)]

نجد أن الرسول ﷺ هو الذي بدأ بالصلاة ثُم طلب منهم الانقياد؛ فأنت ابدأ بالعمل أولاً ثم اطلب من أولادك أن يقلدوك ويقوموا بالعمل نفسه؛ فمثلاً صل أنت أولاً ثم اطلب منهم الصلاة؛ وهكذا سيستمتع الأولاد بتنفيذ أوامرك بحب وطاعة عمياء.

٨- عدم استعجال النتائج، فالسلوك يتغير عبر فترات زمنية ممتدة، وليس زرًا تضغط عليه فتفتح الآلة ويتغير الأولاد. كما أن العمارة الشاهقة البنيان تحتاج إلى أيام وشهور وسنين ليكتمل بنيانها، فما بالك بالنفس البشرية؟!

(١) رواه البخاري.



والنكد هو التعبير عن اليأس والضجر من توجيه الآباء الأوامر للصغار بالصد واللامبالاة من قِبل الصغار، أما العِنْد فهو نابع من تلك السلطة المطلقة للوالدين والتي عملت على فقدان الصغار لعنصر الأمان والحب وتحولت إلى "ديكتاتورية صماء". وعندما تُكبت حرية التعبير عند الفرد عما يجول بخاطره ويعتصر نفسه ولا يستطيع أن يكبته أو يُعبر عنه صراحة، فسيلجأ إلى التعبير عنه في أشكال قد لا تُفهم، تتسم بالعنف والعدوانية أحيانًا، أو اللامبالاة والبرود أحيانًا أخرى، وتأخذ شكل عدم السواء، فهذه الأشكال؛ وغيرها يحاول الفرد أن يُخفف بها القلق الثائر في نفسه ليحميها من التعب وتوابع القلق، وهذا ما يفعله الصغار دائمًا، فإذا اتبعت – بإذن الله – ما اقترحناه عليك فستنتهي هذه الظواهر التي ما هي إلا عوارض للمشكلة الرئيسية.

تعديل السلوك ليس مستحيلاً

إنه من الجميل حقًّا أن نحاول إصلاح أولادنا، والأجمل أن يكون ذلك في سن مبكرة، فكلما كبر المرء كانت عملية التغيير وتعديل السلوك صعبة، لكنها على أية حال ممكنة وغير مستحيلة، فنحن دائمًا نطلب من أطفالنا الصدق، وإذا ما كذبوا علينا نأخذ الأمر على محمل شخصي، وكأنه أساء إلينا إساءةً شخصية، والأمر أكبر من هذا، فالصدق لا يعني عدم الكذب علينا كأبوين فقط، فأضرار الكذب تشمل الفرد نفسه والأسرة والمجتمع على حد سواء، وهذا يعني أن من مفاهيم الصدق ألا أغش، ولا أخدع الآخرين، ولا أتحايل على المواقف، وألا أراوغ ولا أكثر من مبررات لا داعي لها، والأهم أن أكون صادقًا مع نفسي، وأن أكون شجاعًا في المواقف التي تحتاج إلى قول وفعل ما يجب أن يكون؛ واختصارًا أن نحيا حياةً بعيدة عن الزيف، وأنا مع الرأي الذي يؤكد أن الكذب من أكبر الآفات إن لم يكن أكبرها على الإطلاق، فهو بداية لكل خطيئة وذنب؛ لذا نفى الرسول ﷺ صفة الكذب عن المؤمن برغم أنه لم ينفِ صفتي البخل والجبن عنه (أي المؤمن).

فعليك سيدي أن تستعرض حياتك أنت وتفكر في الصدق بمعناه الأكبر والأشمل، وهل كنت ذلك النموذج الذي يمكن أن يحتذيه ابنك.

كما إنه عليك أيضًا أن تُدرك طبيعة هذه السن التي دخلها ابنك، فهو على أعتاب مرحلة المراهقة، ويحتاج إلى مساعدة، وفي هذه المرحلة يعاني الأولاد من صعوبة في أن يسألوا أحدًا المساعدة التي يحتاجونها، ونجدهم يسألون ذلك بطريقة غير مباشرة قد تبدو غريبة كما فعل ابنك ولجأ إلى الكذب والسرقة؛ ولذلك نقترح ما يلي:

١- أن تجلس مع ابنك جلسة هادئة تُظهر فيها عاطفة الأبوة في غير تدليل قائلاً: أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا تلجأ للكذب والسرقة؟ ولكن أستطيع أن أرى بوضوح أن لديك مشكلة ما، وأنا أودّ لو استطعت أن تفصح لي عنها، وأعدك بعدم الانفعال مهما كانت أخطاؤك، المهم أن نجد لها حلاً معًا، وإذا لم نستطع

إيجاد الحل بعد المحاولة الجادة فلا مانع عندي من اللجوء إلى طبيب نفسي يُساعدك، وبالطبع تكون عند وعدك، أولاً: بعدم الانفعال وإلا اعتبر الصبي أن ما تقوله كان مجرد استدراج له. وثانيًا: اللجوء إلى الطبيب النفسي إذا لم تستطع مُساعدته.

٢- حاول عزيزي الأب إيجاد العلاقة الإيجابية بينك وبين أبنائك، فلابد أن تُشاركهم بعض الأنشطة، وتُشجعهم على مُمارسة الرياضة، إلى جانب ممارسة هواية أخرى يحبها الأولاد، كما يجب أن تجعل له وقتًا خاصًا به من نفسك – كما تفعل ذلك مع جميع إخوته لتحقيق مبدأ المساواة – وذلك لمُناقشتهم آرائهم المُختلفة وأحوالهم بصفة عامة بطريقة يملؤها الحُب والتفاهم دون أن تلعب لعبة الواعظ، واجعل لقاءً أسبوعيًا مع أفراد أسرتك تتناقشون فيه وتتبادلون فيه الآراء في مختلف المجالات.

٣- اجعل أبناءك يشتركون في مُعسكر خاص بالأسرة – إن أمكن ذلك – أو رحلات يقومون هم بعملية التنظيم والإعداد فيها تحت إشرافك.

٤- حاول أن تُساعده في أن يجد له عملاً يتكسب منه، ولا تتخيل أنه صغير السن على إنجاز بعض الأعمال التي تتناسب مع سنه وقدراته وصحته العامة، وإذا لم تجد المكان المناسب الذي يتوفر فيه ما سبق أسند له بعض الأعمال الخاصة بك كأن يقوم بدور السكرتير أو المساعد لك، واجعله يتقاضى راتبًا معقولاً.

٥- لا تضعه في مواقف تلجئه للكذب أو السرقة، كما أنه لابد من تغيير البيئة أو الظروف التي اضطرته للكذب من قبل، فلا تروعه عندما تسأله عن أداء الواجبات مثلاً أو تلح عليه بطريقة تجعله يتملص منك بالكذب، ولكن عليك أن تعاونه في أن يخطط وينظم وقته بحيث يستطيع مع المذاكرة أن يُمارس أنشطة أخرى، وأن تعزز له كل تفوق أو كل تقدم يحدثه في دراسته، كما

يجب أن تكون على صلة بأساتذته بالمدرسة، وتحضر مجالس الآباء، وتشارك في الأنشطة الخاصة بهذه المجالس، فهذا من شأنه أن يجعل ابنك يحس بالاهتمام به في كل أموره.

٦- بالنسبة للصلاة في أثناء محاولة الإصلاح بينك وبين ابنك أو في محاولة التقارب بينكما، من الأفضل ألا تأمر ابنك بالصلاة، ولكن ضع في حسبانك في خضم عملية الإصلاح أن تبدأ بدعوة ابنك للذهاب معك إلى صلاة الجمعة، وفي أثناء العودة اذهبا للتنزه أو تمشيا معًا، وناقشه في خطبة الجمعة ورأيه فيها، وهل كانت خطبة لها قيمتها، ومدى الاستفادة منها على المستوى الشخصي وعلى مستوى المجتمع، وناقشه في مشكلات مجتمعه، وما اقتراحاته التي يراها للإصلاح، ومدى إمكانية تحقيق هذا، واحترم ما يقوله. كما يجب أن تُشجعه فإذا وجدت أن اقتراحاته قابلة للتطبيق فساعده على تطبيقها مع بعض المسؤولين إن استطعت.

باختصار، إن هذا الحوار سيُقرب المسافة بينكما، كما أن ذلك يُساعده على استشارتك في كل أموره، وإلى جانب أنك بهذه الطريقة تُعلّمه كيف يكون إيجابيًّا بطريقة واقعية لا تصيبه بالإحباط.

وبعد ذلك اطلب منه أن تُصلّيا بل تصلي أنت والأسرة كلها جماعةً بالمنزل في الأوقات الأخرى غير يوم الجمعة، ولا تسأله سؤالاً مباشرًا هل صليت كذا؟! بل دائمًا اطلب منه أن يصلي معك في جماعة، فإذا ادعى أنه صلّى وأنت تعلم أنه كاذب، فما عليك إلا أن تسأله: أين صليت؟!

فإذا قال صليت في حجرتي مثلاً، فقل لقد استأثرت حجرتك بالبركة، فتعال نصلي معًا في حجرتي أو في الصالون أو في غرفة السفرة؛ حدّد له المكان لتباركها، وتحسب لك هذه الصلاة نافلة، وتصحبه من يده بابتسامة وبطريقة لا تسمح له بالكذب مرةً أخرى أو بالتملص؛ ولاحظ أنه رغم أن ابنك على أعتاب المراهقة فهو ما زال طفلاً في بعض أمره؛ لذلك أنصحك بقص بعض القصص

التي تتناسب مع عقله وسنه عن فضيلة الصدق، واقرأ عليه قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه فهي قصة رائعة تحمل الكثير من العبر، وعلى رأسها كيف امتحن هذا الصحابي الجليل في صدقه. كما يجب أن ننبه أنه لابد وأن تُشارك الأم في كل ما سبق، فأمر التربية ليس مُقتصرًا على أحد الوالدين دون الآخر.

عند تعاملك مع ابنتك

فحقها كحق أخيها في المعاملة الرحيمة، والعطف الأبويّ؛ تحقيقًا لمبدأ العدالة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (٢)

وفي حديث عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: "اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم؛ اعدلوا بين أبنائكم." (٣)

ولولا أن العدل فريضةٌ لازمةٌ، وأمر مُحكم، لكان النساء أحق بالتفضيل والتكريم من الأبناء، وذلك لما رواه ابن عباس مرفوعًا:

"سَوُّوا بين أولادكم في العطية، فلو كُنت مُفَضِّلاً أحدًا لفضلتُ النساء ..."(٤)

---

(١) الآية ٩٠ من سورة النحل.

(٢) الآية ٨ من سورة المائدة.

(٣) أخرجه البخاري (الفتح جـ٥، صـ٢١١ حديث ٢٥٨٧) ومسلم جـ٣، صـ١٢٤١ – ١٢٤٤ حديث ٩-١٩ وأبو داود جـ٣، صـ٨١٥ واللفظ له.

(٤) سنن البيهقي جـ٦، صـ١٧٧.

ولقد فضح القرآنُ أصحاب العقائد المنحرفة الذين يبغضون الأنثى، ويستنكفون عنها عند ولادتها، فلقد قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [1]

وها هو رسولُ الهدى ﷺ، يعدّ من كبائر الذنوب تلك اليد التي تمتد للطفلة البريئة فتواريها في التراب بعد أن اغتالت عاطفة الأبوة الجياشة في القلوب؛ فيقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ:

ـ "أيُّ الذنب أعظم؟ قال ﷺ: "أن تجعل لله ندًا وهو خلقك".

قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أيٌّ؟ قال: "أن تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَم معك". [2]

ويرغّب ﷺ في الإحسان إليهن، فيقولُ:

"من كان له ثلاثُ بنات أو ثلاثُ أخوات أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن وصبر عليهن، واتقى الله فيهن دخلَ الجنة". [3]

ولقد أثر هذا الأدب النبوي على أدباء الإسلام حتى كتبوا فيه صيغ التهنئة المشهورة، حيث يهنئ الأديب من رزق بنتًا من أصحابه، فيقول له: كما في هذه القطعة الأدبية الجميلة "للصاحب ابن عباد" وكان أديبًا:

"أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء وأم الأبناء وجالبة الأصهار والأولاد والأطهار، والمبشرة بأخوةٍ يتناسقون، ونجباء يتلاحقون". [4]

---

(١) الآية ٥٨ من سورة النحل.

(٢) صحيح البخاري (فتح ١٦٣/٨، ومسلم (٨٦).

(٣) رواه أبو داود (٥١٤٧) والترمذي (١٩١٣) وابن حبان (٢٠٤٤) (وفي سنده سعيد بن عبد الرحمن بن مكمل الأعشى لم يوثقه غير ابن حبان) أ.هـ كلام الأرناؤط في جامع الأصول ٣/١، ويراجع (الصحيحة – تخريج حديث رقم (٢٩٤) وحكم الألباني على هذا الحديث بالضعف). وفي الباب أحاديث كثيرة تغني عنه.

(٤) العقيلة: السيدة (الزوجة).

فلو كان النساء كمن ذكـــــرن .... لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب .... وما التذكير فخر للهـــــلال

والله تعالى يعرِّفُكَ البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فالدنيا مؤنثةٌ، والرّجالُ يخدمونها، والأرضُ مؤنثةٌ، ومنها خُلقت البرية، ومنها كثرت الذُريـــة، والســـماء مؤنثة وقد زُيِّنَت بالكواكب، وحُلِّيَتْ بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة وهي قِوامُ الأبدان، وملاك الحيوان، والجنةُ مؤنثةٌ، وبها وُعِدَ المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئًا لك بما أُوتيتِ، وأوزعكِ الله شكر ما أُعطيتِ.

وجوب العدل بين الأبناء

ومن حقوق الأولاد العدل بينهم في العطاء والمنع وفي ذلك حديث النعمان بـــن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعـــدلوا بين أبنائكم".[1]

وفي صحيح مُسلم "أن امرأة بشير قالت: انحل ابني غلامًا وأشهد لي رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن ابنة فلان سألتني أن أنحل ابنها غلامي: قال: "له أخوة؟" قال: نعم، قال: "كلهم أعطيت ما أعطيته؟" قال: لا، قال: "فليس يصـــلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق" ورواه الإمام أحمد، وقال فيه: "لا تشهدني علـــى جور، إن لابنك عليك من الحق أن تعدل بينهم".

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إنـــي نحلت ابني هذا غلامًا كان لي. فقال رسول الله ﷺ: "أكل ولدك نحلت مثل هذا؟"

قال: لا. فقال: "ارجعه".

وفي رواية مُسلم فقال: "فعلت هذا بولدك كلهم؟" قال: لا.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان.



قال: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم".

فرجع أبي في تلك الصدقة، وفي الصحيح "أشهد على هذا غيري"؛ وهذا أمر تهديد، لا إباحة. فإن تلك العطية كانت جورًا بنص الحديث، ورسول الله ﷺ لا يأذن لأحد أن يشهد على صحة الجور. ومن ذا الذي كان يشهد على تلك العطية، وقد أبى رسول الله ﷺ أن يشهد عليها، وأخبر أنها لا تصلح؛ وإنها جور وإنها خلاف العدل.

ومن العجب أن يحمل قوله: "اعدلوا بين أولادكم" على غير الوجوب، وهو أمر مُطلق مؤكد ثلاث مرات. وقد أخبر الأمر به أن خلافه جور، وأنه لا يصلح وأنه ليس بحق وما بعد الحق إلا الباطل، هذا والعدل واجب في كُل حال فلو كان الأمر به مُطلقًا لوجب حمله على الوجوب، فكيف وقد اقترن به عشرة أشياء تؤكد وجوبه فتأملها في ألفاظ القصة.

وقد ذكر البيهقي من حديث أبي أحمد بن عدي القاسم بن مهدي حدثنا يعقوب بن كاسب حدثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهري عن أنس:

"إن رجلاً كان جالسًا مع النبي ﷺ، فجاء بُني له فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت بنته فأخذها فأجلسها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ: "فما عدلت بينهما" وقال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقًا فللابن على أبيه حق، قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]

(١) الآية ٨ من سورة العنكبوت.

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1]

قال علي بن أبي طالب: "علموهم وأدبوهم".

وقال تعالى:

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[2]

وقال النبي ﷺ: "اعدلوا بين أولادكم".[3] فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم.

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾[4].

---

(١) الآية ٦ من سورة التحريم.
(٢) الآية ٣٦ من سورة النساء.
(٣) رواه أبو داود والنسائي.
(٤) الآية ٣١ من سورة الإسراء.



فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة. وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم؛ وترك تعليمهم فرائض الدين وسُننه، فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آبائهم كبارًا. كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا.

صفات الأب المربي الناجح

هناك صفات أساسية، كُلما اقترب منها المربي، كانت له عَوْنًا في العملية التربوية. والكمال البشري هو للرسل – عليهم الصلاة والسلام – ولكن الإنسان يسعى بكل جهده وبقدر المستطاع، للتوصل إلى الأخلاق الطيبة والصفات الحميدة. وإليك أهم الصفات التي يسعى إليها المربي وفقني الله وإياك إليها:

١- الحلم والأناة

أخرج مسلم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة".

وهذه قصة لطيفة، تبين أهمية الحلم والأناة في بناء أخلاق الجيل الجديد:

قال عبد الله بن طاهر: كُنت عند المأمون يومًا، فنادى بالخادم: يا غلام فلم يُجبه أحد؛ ثم نادى ثانيًا وصاح: يا غُلام ...

فدخل غُلام تركي وهو يقول: أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ...؟ كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام ... إلى كم يا غلام؟

فنكس المأمون رأسه طويلاً، فما شككت في أن يأمرني بضرب عنقه؛ ثُم نظر إليَّ فقال: يا عبد الله ... إن الرجل إذا حسُنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه؛ وإنا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا، لنحسّن أخلاق خدمنا.

٢ـ الرفق والبُعد عن العنف

أخرج مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن الله رفيق يُحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنف، وما لا يُعطي على ما سواه".

وعنها أن النبي ﷺ قال: "إن الله رفيق يُحب الرفق في الأمر كله".[1]

وعنها أيضًا أن النبي ﷺ قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه".[2]

وأخرج مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله".

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: "يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرًا، دلهم على الرفق".

وفي رواية "إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق".

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: كُنا نُصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان يُصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحُسين على ظهره، وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعًا رفيقًا، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحدًا هاهنا وواحدًا هاهنا، فجئته، فقلت يا رسول الله، ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: لا.

فبرقت برقة فقال: "الحقا بأمكما"، فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا.[3]

وإليك عزيزي القارئ هذه القصة البديعة في موعظتها، لنرى تعامل السلف الصالح؛ روي أن غُلامًا لزين العابدين كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من خزف، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر، وجرحت رجله؛ فقال الغلام على الفور: يا سيدي يقول الله تعالى ((وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ))، فقال زين العابدين: لقد كظمت غيظي ... فقال الغلام: ويقول ((وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ)).

---

(١) مُتفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ١٦٧/٣؛ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ وقال الذهبي صحيح.



فقال: لقد عفوت عنك. فقال الغلام: ويقول: ((وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)).

فقال زين العابدين: أنت حُرٌّ لوجه الله.

٣ ـ القلب الرحيم

عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال:

أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا؛ فسألنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: "ارجعوا إلى أهلكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم وبروهم، وَصَلّوا كذا في حين كذا وصلوا كذا في حين كذا؛ فإذا حضرت الصلاة فليؤذن فيكم أحدكم وليؤمكم أكبركم".[(١)]

وروى البزار عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال:

"إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده؛ والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم."

قُلنا: يا رسول الله، كُلنا يرحم! قال: "ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، وإنما الرحمة أن يرحم الناس".

٤ ـ أخذ أيسر الأمرين ما لم يكن إثمًا

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه؛ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء قط إلا أن تُنتهك حُرمة الله؛ فينتقم لله تعالى.[(٢)]

---

(١) مُتفق عليه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



٥ ـ الليونة والمرونة

وهُنا يجدر بنا فهم الليونة بمعناها الواسع، وهي: قُدرة فهم الآخرين بشكل مُتكامل لا بمنظار ضيق؛ وليس معناها الضعف والهوان، وإنما التيسير الذي أباحه الشرع.

فعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بمن يَحْرُمُ على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هينّ لينّ سهل".(١)

٦ ـ الابتعاد عن الغضب

إنّ الغضب والعصبية الجنونية من الصفات السلبية في العملية التربوية؛ بل كذلك من الناحية الاجتماعية، فإذا ملك الإنسان غضبه، وكظم غيظه، كان ذلك فلاحًا له ولأولاده؛ والعكس بالعكس؛ وقد حذر منه النبي ﷺ الرجل الذي سأله وصيةً خاصةً له، فكان جوابه في المرات الثلاث: "لا تغضب"(٢) ... كذلك اعتبر ﷺ الشجاعة هي القدرة على عدم الغضب؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".(٣)

٧ ـ الاعتدال والتوسط

إن التطرف صفة ذميمة في كل الأمور؛ لهذا نجد أن رسول الله ﷺ يُحب الاعتدال في أمور الدين، فما بالك في باقي الأمور الحياتية الأخرى، والتي أهمها العملية التربوية؟

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا.

---

(١) رواه الترمذي؛ وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري، عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني. قال: لا تغضب .فردد مرارًا قال: لا تغضب..

(٣) رواه البخاري ومسلم.

فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشدّ مما غضب يومئذٍ فقال: "يأيها الناس إن منكم مُنفرين، فأيكم أمّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة".(١)

٨ ـ التخول [التعهد] بالموعظة الحسنة

إن كثرة الكلام في كثير من الأحيان لا تؤتي أكلها؛ في حين نجد أن التخول بالموعظة الحسنة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ لذلك نصح الإمام أبو حنيفة – رضي الله عنه – تلاميذه بقوله: لا تُحدث فقهك من لا يشتهيه.

كما أن الصحابة أدركوا هذا من فعل النبي ﷺ؛ فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: كان ابن مسعود – رضي الله عنه – يذكرنا في كل خميس مرة. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. فقال: أما أنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا "أي يتعهدنا" بها مخافة السامة علينا.(٢)

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.





كيف تأخذ بيد أولادك إلى معرفة الله؟

تعريف البنت أو الولد بالله مدخل ضروري لإصلاح فكرها وسلوكها؛ فلو أن كُل أب أو مرب يشكو من ابنته وتضايقه بعض سلوكياتها جلس إلى نفسه، وبدأ يحاورها بهدوء، ويبحث بموضوعية عن مكامن تقصيره وحدود مسؤوليته الشخصية عما وصلت إليه ابنته لاكتشف أنه قصر في تربية عقيدة طفلته منذ نعومة أظفارها، وحين يكون بناء العقيدة هشًا، فإن كُل ما نؤسسه فوقه لابد أن ينهار.

والذي يريد أن تقر عينه بذريته، ويتنفس الصعداء في الكبر؛ عليه ألا يتوانى عن تربيتهم عقيديًا، فمن عرف الله قطع كل الطريق إلى التوازن النفسي والصلاح السلوكي؛ فكيف نأخذ بيد أطفالنا إلى معرفة الله؟ سؤال يساعد كل الآباء والمربين في الإجابة عنه د. حسان شمس باشا طبيب القلب المعروف والمهتم بالشأن التربوي والأسري وله عدة مؤلفات في هذا الشأن منها كيف تربي أبناءك في هذا الزمان الصعب؟؛ ويقدم د. حسان النصائح والمقترحات الآتية:

١ ـ خذ بيد طفلك إلى الله

لا شك أن تأسيس العقيدة السليمة عند الطفل منذ الصغر أمر بالغ الأهمية، وبالغ السهولة في نفس الوقت، ولكن حاول أن تتذكر الأمور التالية:

١- أجب عن تساؤلات طفلك الدينية بما يتناسب مع سنه ومستوى إدراكه وفهمه.

٢- اعتدل في أوامرك، ولا تحمل طفلك ما لا طاقة له به.

٣- حاول أن تذكر اسم الله تعالى أمام الطفل من خلال مواقف محببة سارة، فالطفل مثلاً قد يستوعب حركة السبابة عند ذكر كلمة الشهادتين، يتلفظ بها الكبير أمامه منذ الشهر الرابع من عمره؛ وإن لبس الجديد حمد الله، وإن أكل أو شرب قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مُسلمين.

٤- ينبغي ألا يُرعب الطفل بكثرة الحديث عن غضب الله، وعذابه، والنار وبشاعتها، بل ابدأ بالترغيب بدلاً من الترهيب؟ وبذلك ينمو الشعور الديني عند الأطفال على معاني الحب والرجاء، فإن حب الله يوصل الجميع إلى طاعة أوامره أكثر من الرهبة والعقاب.

٥- كما ينبغي ألا نكثر من إرهاب الطفل بعقاب الله دائمًا كقولنا له إن الله منتقم جبار، وسيعاقبك ويهلكك، ويعذبك في نار جهنم، وعلى المربي أن يمر على قضية جهنم مرورًا خفيفا أمام الأطفال دون التركيز المستمر على التخويف بالنار.

٦- على الوالدين أن يغرسوا حب رسول الله ﷺ في نفوس أبنائهم الصغار، فنُفهم الطفل بعض شمائل النبي ﷺ، وذلك من خلال قصص السيرة النبوية كالرحمة بالصغار، وبالحيوان والخدم، ونحكي له بعض القصص المُحببة من سيرة النبي ﷺ.

٧- ونعلمه عقيدة الإيمان بالقدر، وأن العمر محدود، والرزق مقدر، فلا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا به.

٨- ونعلمه أن يحمد الله على ما أعطي من الرزق، ونعلمه أن المال مال الله، وإن قال: لا، إن المال من مكان (كذا) كمكان عمل والده، نشرح له كيف ينبغي على الإنسان أن يعمل ليحصل على ما يطعم به أولاده ويكسبهم.

٩- بين لابنك الفرق بين "الحلال والحرام"، وبين "ما نريد وما لا نريد" فإذا أردنا الطفل أن ينام في الساعة التاسعة مساءً، فلا نشعره أنه "حرام" ألا يفعل هذا؛ كما عليك ألا تعطي لرغباتك الكثير من البُعد الديني لتفرض تلك الرغبات على الأولاد، فسينشأ الطفل في تلك الحالة، يحمل الكثير من مشاعر الذنب والشعور بأنه ارتكب "حرامًا" لأنه لم يرتب سريره مثلاً.

١٠- ازرع في طفلك حُسن الخلق، حيث لا قيمة لإيمان بلا خُلق حميد، ودون الخُلق الكريم تصبح العبادات مُجرد حركات لا قيمة لها، والرسول ﷺ يقول: "ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حُسن ".(١)

١١- علمهم أن الدين ليس مُجرد شهادة ينطق بها الإنسان، وليس مجرد مناسك وشعائر، إنما الدين عاطفة تنبع في أعماق النفس البشرية تدفع الإنسان إلى حُسن معاملة الناس.

١٢- عليك أن تغذي النزعة الجمالية في أطفالك عن طريق مصاحبتهم إلى الريف والبحر والجبل والمتنزهات، دع جمال الكون يتسرب إلى نفوسهم، وروعة الخالق وعظمته تطرق قلوبهم، فسرعان ما ستملأ هذه القلوب الطيبة بحب الله.

١٣- علمهم أن يسألوا الله، ويستعينوا به وحده، ذكرهم بحديث رسول الله ﷺ: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله".(٢)

١٤- تذكر أنك قدوة لطفلك، فلا تفعل إلا ما يرضي الله ورسوله.

١٥- لا تُطعم أولادك إلا حلالاً، فحذار حذار من الرشوة؛ والربا؛ والسرقة؛ والغش، فذلك سبب لشقائهم وتمردهم وعصيانهم.

١٦- لا تدع على أولادك بالهلاك والغضب، لأن الدعاء قد يستجاب بالخير والشر، وربما يزيدهم ضلالاً، والأفضل أن تقول للولد: أصلحك الله.

١٧- تخير أوقات إجابة الدعاء، وادع لأولادك بالسعادة في الدارين، قال رسول الله ﷺ: "من تعار من الليل، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي. أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته"(٣)

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه أحمد والترمذي.
(٣) رواه البخاري.



٢ ـ تهيئة الطفل لعبادة الله

يمكن تعويد الطفل منذ سن الرابعة؛ أو الخامسة على الوضوء والصلاة، ونحببهم فيها قال تعالي:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(١)

ونفهم الأطفال بأننا نُصلي ليحبنا الله، وأن المُصلين لهم الجنة، ونعلمهم آداب المساجد وصيانتها من الصخب وإلقاء الأوساخ، وقد علم الرسول ﷺ أنس بن مالك ﷺ حسن أداء الصلاة، وعدم الالتفات وهو صبي حين قال رسول الله ﷺ:

"يا بني إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة".(٢)

ويصطحب الوالد طفله إلى المسجد عندما يكون قد تعلم آداب المسجد؛ وسُئل الإمام مالك ﷺ عن رجل يأتي بالصبي إلى المسجد أتستحب ذلك قال:

إن كان قد بلغ موضع الأدب وعرف ذلك ولا يعبث، فلا أرى بأسًا، وإن كان صغيرًا لا يقر فيه ويعبث، فلا أحب ذلك.

وواجب الكبار نصح الصغار باللطف والموعظة الحسنة، فكم رأينا كبارا في السن تصرفوا مع الأطفال تصرفات منفرة، صرخوا عليهم أو طردوهم من المسجد، فكان ذلك سببًا لبعدهم عن المسجد في الكبر وكراهيتهم له.

---

(١) الآية ١٣٢ من سورة طه.

(٢) انفرد به الترمذي وقال: حسن غريب وقال الألباني: ضعيف.



٣ ـ تعليم الأطفال قراءة القرآن وحفظه

حاول أن تشجع طفلك على تعلم القرآن وحفظه، فتعليم الصغر أشد رسوخًا، وهو أصل لما بعده، ويُستحسن تفهيم الطفل ما يقرأ، فقد حفظ كثير من سلف هذه الأمة القرآن منذ الصغر بفهم جيد، فهذا الإمام الشافعي – رحمه الله – يقول:

حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت موطأ مالك وأنا ابن عشر.

وينبغي أن يُقال للطفل: إن الماهر في تعلم القرآن وحفظه سيكون مع الكرام البررة في الجنة، وأن من يقرأ القرآن ويتلعثم فيه وهو عليه شاق فله أجران، وأنه سينال حسنة عن كل حرف يتلوه من القرآن، والحسنة بعشر أمثالها.

ولا شك في أن للقدوة الطيبة أثرًا كبيرًا في استجابة الطفل، فالطفل الذي يرى أباه يقرأ القرآن ويتدبره ينشأ على تعظيم القرآن وتوقيره؛ وتذكر يا أخي أن خير ما تتركه لأبنائك حفظ كتاب الله والعمل بما جاء فيه.

ومن الخير أن نعلم الطفل القرآن الكريم، ونفسره له على قدر فهمه، ولكن لننتبه لئلا يسأم منه بسبب كثرة إلحاحنا المتمادي كما يفعل بعض الآباء الذين لا يدعون الطفل يترك القرآن من يده، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

يروى أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يُقرئ بناته وحفيداته، فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية أسد بن الفرات بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة.

كم يحفظ أبناؤك من القرآن؟

١- شجع أولادك على حفظ ما تيسر من القرآن، والأحاديث النبوية والأدعية والأذكار؛ كما كافئه على ما يحفظ، كما شجعه على الاستزادة من العلم، فهذا إبراهيم بن أدهم يقول له أبوه: يا بُني اطلب الحديث فكلما سمعت حديثًا وحفظته فلك درهم.

فيقول إبراهيم: فطلبت الحديث على هذا.

٢- ويمكننا الآن أن نكافئ البنت أو الابن بعد حفظه رُبع جزء من القرآن أو ما تيسر من القرآن بعشرة جنيهات مثلاً؛ وهكذا.

٣- لا تُكره طفلك على المداومة على الحفظ دون إعطائه وقتا للراحة أو اللعب.

٤- كافئ الأستاذ الذي يُحفظ ابنك القرآن؛ فهذا أبو حنيفة حين حذق ابنه حماد سورة الفاتحة وهب للمعلم خمسمائة درهم، وكان الكبش وقتها يشترى بدرهم واحد، فاستكثر المعلم هذا السخاء، إذ لم يعلمه إلا سورة الفاتحة، فقال أبو حنيفة: لا تستحقر ما علمت ولدي، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيمًا للقرآن.

هكذا يحترم المعلم وتقدر جهوده، فأين نحن من أبي حنيفة ﷺ؟

لا تهدم البناء الديني عند أولادك

هناك عوامل هدم لهذا البناء الديني الذي تُريد أن يُعمر في قلوب أبنائك، ومن أهم تلك العوامل التي تضر بأبنائك ما يلي:

١- تحويل العبادات إلى مُجرد طقوس لا معنى لها ولا روح.

٢- النفاق العملي وهو أن يتلقى الولد من أبويه تعليمات وأوامر، ويرى أبويه يعملان عكسها.

٣- الإكراه على تطبيق الشعائر الدينية؛ فمن الناس من يُهمل تربية أبنائه حتى إذا وصل إلى سن المراهقة ولم يصلِ الولد في ذلك الحين لجأ أبوه إلى الضرب ليجبره على الصلاة، فأين كان ذلك الأب في السنوات السابقة؟ ولماذا لم يغرس فيه حب المسجد والصلاة من قبل.



صدق الأبناء يبدأ بصدق آبائهم

كثيرا ما ينزعج الوالدان حينما يَرَيَان طفلهما يكذب، والكذب عادة سيئة يتبعها كثير من الأطفال في الوقت الذي يحاول فيه أولياء أمورهم غرس صفة الصدق داخلهم باعتبارها أسمى قيمة يُمكن أن يمتلكها إنسان في هذه الحياة، إلا أن الحقيقة الواضحة التي لا ينتبه إليها الكثيرون هي أن الأطفال يتعلمون الصدق إذا هم رأوا الكبار صادقين، وهذا الأمر لا يمكن التغافل عنه فكل كذبة تقال من الأطفال يقف الآباء والأمهات عاجزين عن التصرف إزاءها وأحيانًا قد تتخذ الأسر مسار العنف لمحاولة تجنيب الطفل الكذب ودفعه لقول الحقيقة إلا أن هذا لا ينفع في أغلب الأحيان، ويتخذ الطفل موقفًا صلبًا في قول كذبته ليتبعها الكثير في المرات القادمة. فكيف بإمكان الأسر التصرف إزاء مثل هذه المواقف؟ وماذا يمكنها أن تفعل لطفلها الكاذب؟ وهل تكون الأسرة المحرك أو المحرض الأساسي لدفع ابنها لكي يكذب؟ وكيف يمكن التصرف مع الطفل الكاذب منذ سنوات طفولته وحتى سن المراهقة؟

تقول "تجود الشدوخي" الإخصائية النفسية بمستشفى الصحة النفسية بجدة:

(... إن الطفل ذا السنوات الصغيرة بعض الشيء يعيش في حقيقة تختلف كل الاختلاف عن حقائقنا ومتى كذب لا يكون قاصدًا تشويه الحقيقة بقدر ما يكون راغبًا في إعطاء جو آخر بدأ يتحسسه ويشعر به، فإذا ما أسقط الكوب على الأرض مثلاً فإنه يشعر بأن أحدًا غيره قد أسقطه ولأنه يود لو أسقطه غيره بقوله "إنه لم يسقطه" فمنطقه ليس كمنطقنا لهذا فليس من العدل اعتبار كلامه مقصودًا).

وإذا ما أصرت الأم أن يعترف الطفل بكذبه فإن ذلك لا يكون محاولةً صائبةً وإذا ما قال الطفل "أنا كسرت الكوب" فما الذي تفعلينه أيتها الأم؟ أتعاقبينه أو تكافئينه، وضع لا غالب فيه ولا مغلوب والشيء الوحيد الذي يجدر بك فعله هو أن تشرحي لطفلك لماذا يزعجك سقوط الكوب، وبأن سقوطه سيسبب مشكلات كثيرةً منها إنه إذا ما دخل الجسم فإنه سيصيبه بجروح بالغة ستؤدي به حتمًا للذهاب إلى

العلاج وهي تخشى عليه، بالإضافة إلى ما قد يُسببه من إزعـاج فـي التنظيـف والخسارة الكبيرة للكوب، أيضًا هذا الأمر قد يجعل الطفل يستجيب مع كـلام الأم ويفضي بأفعاله البسيطة إلى والدته ويُصرح لها عن كذبته بكل سهولة وبساطة.

طفلك يكذب في المدرسة!!

قد يكذب الطفل الصغير على أمه أو أبيه لشيء قد حدث معه وقد يرد أحد والديه على كذبة طفلهما بقوله "هكذا إذن" ثم قد يأخذ طفله جانبًا ليحاول معه أن يعتـرف بالقصة الحقيقية أو قد يرسله غاضبًا إلى غرفته ليأمل داخله أن يأتي الطفل بعد قليل ويعترف بكذبته إلا أن شيئا من هذا لن يحدث، فالثورة الغاضبة من قبل الأهل قـد تزيد الأمر سوءًا ويعطي الغضب للطفل دافعًا للكذب في المرات القادمة والحقيقـة الساطعة أنه لا يمكن لأي أب أو أم أن ينتزعا الحقيقة والصدق عنوةً من فم الطفل فيشعر الطفل المتورط بالكذب بمزيد من القوة والصرامة والثقة بالنفس متى وجـد أباه أو أمه غاضبين وأنه نجح في إتمام خطته بسبب نسيان والديه كذبته وتركيزهما على الغضب والكلمات العنيفة، وهذا الأمر يساعده في أغلب الأحيان على تكـرار كذبته متى ما أراد، فما الذي يمكن للوالدين فعله لوقف أفعال الطفل الكاذب؟

سؤال تصعب إجابته في تصور العديد من الأسر، إلا أن الإجابة والتصرف فـي غاية البساطة فأفضل رد فعل يمكن أن تقوم به كل أسرة يتركز حسب التصرف الذي يلجأ إليه الطفل عند الكذب. فمثلا إذا ما كذب حول درجاته الضعيفة التي تحصّل عليها من المدرسة فيقول: بأن المدرسة لم تعطه الشهادة هو وكل زملائه، أو ربما يقول: إنه أضاعها ولا يعرف أين سيجدها. هنا ليس على الأب أو الأم أن يصرخ أحدهما فـي وجه طفله وينعته بأنه كاذب، بل على العكس من ذلك تمامًا فبإمكانهما أن يؤكدا له بأن ذلك لن يتكرر مرةً أخرى لأنهما سيزوران المدرسة ليتحصلا على الشهادة ويعرفـا أهم ما تحويه وهكذا بإمكاننا نحن إبلاغك بما تحويه من درجات ما دمت غير قـادر على الحصول عليها، أو قدرتك غير كافية على الاحتفاظ بها، وهنا فإن الأبوين يكونان

قد أحرزا نجاحًا باهرًا ويكون الطفل قد تعلم أن كذبته لا يمكن لها أن تنطلي عليهما وهذا التصرف يمكن اتباعه حسب الموقف الكاذب الذي يتخذه الطفل.

الأسرة المعلم الأول

مما لا شك فيه أن الأسرة تلعب دورًا كبيرًا وفعالاً في تعليم أطفالها الكذب بطريقة أو بأخرى، وهذا ما يجب أن تفكر فيه كل الأسر التي تدخل هذه الأساليب السلبية في عقول أطفالها منذ حداثتهم، فمثلا عندما يأتي أحد الأصدقاء غير المرغوبين إلى والد الطفل فيخبر الطفل بأن يخرج إلى صديقه ويخبره بأنه غير موجود داخل المنزل، هذه الكذبات البسيطة قد تعلق في ذاكرة الطفل بأنه بينما الأهل لا يعلقون أهمية كبرى على مثل هذه الأفعال ويظنون بأنه لا يمكن للطفل التقاط أشياء بسيطة وهينة كهذه، إلا أن ذلك غير صحيح على الإطلاق فذاكرة الطفل يمكنها أن تحمل أشياء كثيرة لا يمكن لنا تخيلها، فإذا كان الأبوان صادقين في أقوالهما وأفعالهما، وكانا يتجنبان الكذب مهما كانت النتائج فمن المُستحيل أن يتعرف الطفل على عادة الكذب الذميمة؛ أما إذا وجد أبويه أحدهما أو كليهما يكذبان في كثير من الأحيان فليس من المستغرب أن يقتدي بهما بدوره فيغدو كذابًا كبيرًا لا على أبويه فحسب، وإنما على أقربائه وأصدقائه وجيرانه وربما على نفسه أيضًا.

كيف يُصبح ابنك المراهق صاحب قرار؟

يتخذ المرء الكثير من القرارات والاختيارات يوميًا وهدف الأهل عادةً هو إيصال أبنائهم إلى حياة مليئة بالنجاح؛ والقُدرة على اتخاذ القرارات السليمة؛ وتحمّل المسؤولية.

وفي حين يتخوف بعض الأهل من القرارات التي يتخذها أبناؤهم لعدم ثقتهم بقدرة هؤلاء على التمييز بين الصواب والخطأ، ولاعتقادهم بأنهم الوحيدون القادرون على تحديد مصلحة أولادهم.



يشعر بعض الأبناء بالخوف وعدم القدرة على اتخاذ القرار المناسب لأنهم لم يتعلموا كيفية تحمل المسؤولية في حياتهم ويشعرون بأنهم غير مؤهلين لاتخاذ القرارات الصحيحة؛ وإذا لم نعلّم المراهقين كيفية اتخاذ القرارات والتعامل مع انعكاساتها ونتائجها نرتكب بحقهم خطأ جسيمًا ونسيء إليهم إساءةً كبيرةً لأن على الأهل إدراك أن أولادهم - عاجلاً أم آجلاً - سينفصلون عنهم ويعيشون بمفردهم.

وتأهيل المراهق لاتخاذ القرارات المناسبة هو الحل الأمثل، لينمو في بيئة سليمة، متمتعًا بالثقة لتحقيق النجاح لأنه إذا لم تثق البنت المراهقة أو الولد المراهق بقدرته على اتخاذ القرارات المناسبة، سيعاني طوال حياته من عدم القدرة على تحمل المشكلات أو حلها؛ ومن الطبيعي أن يسعى المراهقون للوصول إلى قرارات خاصة ويرفضوا الخضوع لتدخل الأهل في حياتهم.

وليستطيع ابنك المراهق أو ابنتك المراهقة الوصول إلى القرار السليم، يمكنك أن تساعده عبر التأكيد على أن اتخاذ القرار ليس صعبًا أو محاطًا بالضغوط إلا أنه يتطلب وقتًا حتى لا يقع في الخطأ؛ ويمكنك مساعدته عبر تحديد بعض الخطوات التي يمكنه اتباعها؛ ومن خلال إجابته عن بعض الأسئلة التي تساعده في رسم الطريق الصحيح والسليم لاتخاذ القرار المناسب كما يلي:

١- تعريف المشكلة: ما القرار الذي يجب اتخاذه؟ علّمه أن يضع تعريفًا موجزًا للقرار الذي يحتاج إليه.

٢- تحديد الوقت: لماذا يجب اتخاذ هذا القرار الآن؟ ما الذي يفرض عليه اتخاذ هذا القرار؟

٣- التحقق من نتائج التأخير: ما الذي يحصل إذا تأخر بالوصول إلى قرار؟ وما عواقب هذا التأخير؟

٤- تحديد النتائج المرجوة: ما الذي ينتظره من هذا القرار؟ وما النتائج المرجوة جراء اتخاذه؟

٥- الخيارات: ما الخيارات التي يفكر بها؟

٦- الحلول: على المراهق أن يضع أمامه جميع الخيارات المتوافرة لديه ويبدأ بالتفكير بأنسبها؛ وإذا لم تكن الخيارات على قدر النتائج المتوخاة؛ وشعر المراهق بأن أيًا من هذه الخيارات غير صحيح، وأنه لم يعد يرى خيارًا آخر، يمكنه الابتعاد عن المشكلة ومناقشتها مع شخص آخر أو الأخذ برأي ثانٍ لأنه من الممكن أن يستطيع الآخرون مساعدته.

٧- تحليل الخيارات: وما عواقب كل خيار؟ على المراهق تعريف كل خيار وتحديد انعكاساته، وما الذي سيزعجه باعتماد هذا الخيار وما الذي سيخسره؟ وما الذي سيشعر به إذا خسر هذا الشيء؟

٨- تعريف النتائج: على المراهق إدراك نتائج خياره الذي سيتحول إلى قرار وهل هو بصدد تحمل مسؤولية هذا القرار؟ وعليه استبعاد الخيارات التي ستعرضه للخسارة أكثر من الربح.

٩- الاختيار: على المراهق اختيار ما يراه الأفضل له؛ ولا بد له من الإدراك أنه لن يستطيع إطلاقًا الجزم بمدى صحة هذا القرار؛ ولذلك يُمكنه اتباع حدسه في هذا الموضوع.

١٠- التأكيد على الخيار: لماذا يشعر بأن هذا هو الخيار الصحيح؟ ما الذي دفعه إلى هذا الشعور؟ ومن الطبيعي أن يكون جواب المراهق عن هذا السؤال أن هذا مجرد إحساس.

١١- مدى صحة الخيار: ماذا بعد اتخاذ القرار؟ معظم الناس يعتقدون أنه بمجرد اتخاذهم قرارًا ما، سيعيشون مع انعكاساته مدى الحياة؛ ولكن الحقيقة أن هذا القرار أو ذاك ليس إلا خطوة في طريق الحياة، لأن أي قرار يتخذ هو جسر عبور إلى مرحلة ثانية في الحياة؛ وإذا اكتشف المراهق أن قراره غير صحيح، ما عليه إلا التفكير بأنه حصل على معلومة تفيده لاتخاذ قرار مقبل في حياته؛ وإذا شعر بأنه لا يمكنه العيش مع ما سينتج عنه فعليه ألا يأخذ به.



الشباب وثقافة الغرب

كان للتطور المادي الذي شهدته البشرية في العقود الأخيرة نتائج سلبية ومؤلمة في حياة كثير من الشعوب، وبخاصة في الفترات الأكثر حيويةً وتجددًا من ضمن فئات مجتمعات هذه الشعوب؛ فئة الشباب.

والسبب في ذلك يعود إلى التركيز المبالغ فيه الذي مارسته العولمة الإعلامية على هذه الفئة، باعتبارها الفئة ذات الاستهلاك الأكبر للمنتجات التي أفرزها هذا التطور المادي، فضلاً عن كونها الفئة الأسهل اختراقًا من قبل آليات تلك العولمة؛ لرخاوة قيمها ومبادئها ولحاجاتها الجسدية الملحة وطاقاتها المتفجرة. وبناءً عليه، استطاعت حضارة المادة أن توقع بأعداد كبيرة من هؤلاء الشباب في شَرَك ألوانها الفاقعة وأنماط سلوكياتها وقيمها، التي لا هدف لها سوى تعظيم أرباح شركاتها؛ وزيادة انتشار منتجها، حتى لو كان وراء ذلك ليس تدمير ثقافة وقيم المجتمعات التي ينتمي إليها هؤلاء الشباب، بل وتهديد حياتهم بالخطر في كثير من الأحيان.

وكان أن انتشرت في أوساط الشباب الكثير من الأمراض الجنسية، ليس الإيدز نهايةَ مطافها، فضلاً عن انتشار المخدرات والجريمة. وتمثلت الإشكالية الأساسية في هذا السياق، بإصرار الطرف الذي يمتلك ناصية التطور المادي، باشتراطه مسبقًا توطين واستبطان قيمه المذكورة بالتزامن مع استهلاك منتجه، مستأنسًا في ذلك بحملة إعلامية وثقافية شرسة، كان أهم أهدافها المعلنة سلخ فئات الشباب هذه من مجتمعاتها وإلحاقها بتطبيع المستهلكين المعولمين.

الإشكالية الثانية تمثلت بأن هذه الحملة استهلاكية الطابع والمضمون قد تم تحميلها بحمولات سياسية ذات أبعاد خطيرة؛ حيث راحت تصنف كل أشكال الممانعة التي تواجهها، وخاصةً بعد أحداث ١١ سبتمبر، على أنها شكل من أشكال الإرهاب. وليس أدل على ذلك سوى الحملة الشعواء التي شنتها الدوائر الغربية على مناهج التعليم

والتربية في بعض الدول الإسلامية التي تستخدم في تنشئة الأجيال الصاعدة وتحصينها ضد الوقوع في ذلك.

والسؤال الآن: كيف هو حال الشباب المسلم في ظل تبعية عالمية ومناخ ثقافي عالمي طارد للقيم والثقافات التي تتعارض مع توجهاته ونهجه؟

كان لتطور الحضارة المادية في الغرب والتوجهات الثقافية التي رافقتها وقع مختلف في العالم الإسلامي؛ حيث نُظر لمفرزات هذه الحضارة، والسلبية منها خاصة، على أنها تمثل تحديًا خالصًا لا بد من صوغ استجابات معينة لمواجهته.

محاولات النخب المرتبطة بالغرب ثقافيًا واقتصاديًا وتسهيلَ نشر وتوطين قيم تلك الحضارة جعل التحدي يأخذ بُعدًا أكبر، لكن العمق الحضاري للأمة والتراث الديني والثقافي المتجذر في التاريخ لا يزال يشكل حائلاً دون الاندماج في تلك القيم الوافدة. والناظر إلى العالم الإسلامي قبل ثلاثة عقود من الزمان وكيف كانت الدعوات التغريبية تجد صدى حسنًا لدى أبناء هذه الأمة، والناظر إلى حال الأمة حاضرًا وكيف أصبحت الأمة محصنة في أجزاء كبيرة منها بجهود علمائها ومخلصيها، سيجد هناك فرقًا واضحًا لمصلحة أبناء هذه الأمة ومستقبل تنشئتها.

وتشكل عودة الحجاب وظاهرة الالتزام الديني دلالةً على انتصار هذا التوجه؛ "سلمى" فتاة من عائلة متوسطة وفي العشرينيات من عمرها، تعيش ضمن عائلة ذات توجهات علمانية بعض الشيء، معرفتها بدينها معرفة سطحية لا تتجاوز ما تعلمته على مقاعد الدرس. وبعد زيارة لها إلى شقيقتها التي تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، قررت ارتداء الحجاب والتزام الدين بطريقة أذهلت المحيطين بها عن حقيقة هذا التحول.

تقول "سلمى" إنها حين شاهدت المرأة في الغرب وأسلوب حياتها ونظرة المجتمع لها أدركت الفرق الهائل بينها وبين المرأة المسلمة. فهي في الغرب إما سلعة وإما



حيوان مستهلك وإما مدمنة على قارعة الأرصفة، في حين أنها في العالم الإسلامي. أم تحت أقدامها الجنة ومدرسة عظيمة مؤتمنة على مستقبل الأمة.

أكثر من ذلك فإن "سلمى" ترى في الإسلام حصنًا وحمايةً لشابة مثلها. فالإسلام كفيل – حسب قولها – بتشذيب الطاقة الكامنة بداخلها وتحويلها إلى قدرة خلاقة ومبدعة في خدمة المجتمع وعمل الخير.

"قاسم" شاب في بداية العقد الرابع من عمره دفعته حياته السابقة إلى الاطلاع على الكثير من التيارات الفكرية المتعددة وتجريب أنماط حياة مختلفة، لا يختلف عن "سلمى" بصلته بدينه؛ حيث العلاقة شكلية وخاصةً في مدى تأثير الدين بسلوكه.

المحيطون بقاسم فوجئوا بتوجهاته الجديدة؛ حيث بدأت تظهر عليه علامات التدين والالتزام، والسبب – حسب قول "قاسم"– أن الإسلام هو الملجأ الذي حماه كشاب من انزلاقات كان من شأنها ليس تشويه أخلاقياته وحسب، وإنما تحطيم حياته المستقبلية. ويضيف "قاسم" أنه بات مسؤولاً عن أسرة وأنه ليس هناك أفضل من الإسلام قيمةً ومعتقدًا لهذه الأسرة.

يمثل كُلٍ من "قاسم" و"سلمى" نماذج لشباب استفادوا من الصحوة الإسلامية ومن المناخ الإسلامي الذي انتشر مؤخرًا، وكان له نتائج طيبة عبرت عنها بعض التقارير مبينةً أن الشباب المسلم هو أقل الشباب في العالم إصابةً بالأمراض التي ينشرها الشذوذ الجنسي "الإيدز" على سبيل المثال وهو أقل الشباب إدمانًا للمخدرات والمسكرات.



عوامل الانحراف عند الشباب

لا يخفى على أحد أن شريحة الشباب تمثل العمود الفقري لأي تقدم وتطور في حياة الشعوب والأمم، وذلك لأن مرحلة الشباب تعد أزهى وأقوى مراحل العمر في حياة الإنسان. كما أنها فترة التألق والظهور في مسرح الحياة وهي كذلك فترة العمل والعطاء، فترة الحيوية والنشاط، فترة القوة والصحة، فترة الإنتاج والإبداع، فترة السعي والكدح والحركة.

وبصلاح الشباب، يكون صلاح الأمة والمجتمع معاً. وإذا فسد الشباب وانحرف، كان لذلك أثره الخطير على تقدم الأمة وازدهارها. وفي ظل الواقع الذي نعيشه اليوم، هناك معوقات تنال من سيرة الشباب وتقدمهم؛ وهذه المعوقات ما هي إلا عوامل الانحراف عند الشباب. وسوف نتحدث عن هذه العوامل التي تسببت وما زالت تسبب الانحراف عند الشباب، ولن نذكر العوامل كلها، ولكننا سنكتفي بأعظمها خطرًا وأكثرها تفشياً وانتشارًا وهي كما يلي:

١ ـ الفراغ وأثره في انحراف الشباب

إن العمر الذي يملكه الإنسان نعمة كبرى يحمد الله عليها، والحياة أمامه فرصة للنجاح، ولذلك امتن الله بالشروق والغروب على عباده فقال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[1]

وأقسم سبحانه بالزمان في آيات كثيرة من القرآن، فعُلم من ذلك أن حياة الإنسان أنفاس تتردد وتتعدد وآمال تضيع إن لم تتجدد، ودقات قلب المرء في صدره تشعره في كل لحظة بأن الحياة دقائق وثوان تمر به متوالية متتابعة ولذلك قيل:

---

(١) الآية ٦١ من سورة غافر.

"المؤمن وليد وقته" لأنه يسير في حياته على خطى ونظام، ويستغل من خلالها كل مقدار من وقته دون تسويف أو إبطاء ودون تخبط أو اضطراب يلوح له في الأفق طيف حكيم يقول له: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، بل الوقت هو الحياة".

والمسلم الحق يغالي بالوقت مغالاةً شديدةً؛ لأن الوقت عمره. فإذا سمح بضياعه وترك العوادي تنهبه، فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش؛ يقول الرسول ﷺ : "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ".[1]

لأن الناس إذا توفرت لهم الصحة وامتد أمامهم حبل الفراغ ولم يحسنوا استخدام ذلك في العمل المبرور والسعي المشكور، فقد باءوا بالفشل الذريع والخسران المبين؛ ويقول الرسول ﷺ أيضًا: "اغتنم خمسًا قبل خمس... فراغك قبل شغلك".[2]

ويقول الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة .... مفسدة للمرء أي مفسدة

إن الشباب حياة والحياة شباب. والشباب للذكور والإناث واحة فريدة في صحراء الحياة وهو الربيع في سنة العمر. ليس المقصود الشباب الغض الناعم الذي تروق له الحياة، فتسحره بالنظرات المغرية، إنما المقصود هو الشباب الحي العامل الذي وضع له غاية في العيش أبعد من مجرد العيش؛ فهو في جهاد مع وقته ونفسه والهوى والشيطان، فإذا مات قلبه وأضاع وقته وجهده، فهو شيخ ولو كان في العشرين من عمره. والشباب مرحلة من أخطر المراحل في حياة الإنسان؛ لأنها مرحلة قوة بين ضعفين؛ ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة. وعليه، فإن بقاء الشباب والفتيان والفتيات من الإجازات العامة دون استغلال ولا أشغال ينشئ مشاكل متوالية على الأسرة والمجتمع.

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) رواه الحاكم.

إن إحساس الفتى أو الفتاة بالفراغ مع كمال الصحة أمر طبيعي معقول. ولكن الذي لا يكون أبدًا طبيعياً ولا معقولاً أن يحس الشاب أو الشابة بهذا كله ثم يضطرون إلى أن يملئوا فراغهم باللهو والزلات والغفلات.

الفراغ إن لم يغتنمه الشاب تحول إلى نقمة ويُصبح شبحاً مخيفاً يحول الشاب إلى ألعوبة بيد شياطين الجن والإنس. وإن من أكبر أسباب الجرائم في البلاد المتقدمة والغنية هو الفراغ، والفراغ مدعاة للأفكار الحالمة والهواجس الشيطانية، وهذا ما يقرره علماء النفس والتربية حيث يقولون:

إن الشباب إذا اختلى بنفسه في أوقات فراغه وردت عليه الأفكار الحالمة والهواجس السارحة والأهواء الآثمة والتخيلات الجنسية المثيرة، فلا يجد نفسه الأمارة إلا وقد تحركت وهاجت أمام هذه الموجة من التخيلات والأهواء والهواجس وربما وقع فيما هو محظور ويقول عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله ﷺ: "إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً، ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة".

والفراغ يولد إحباطات نفسية عند الشاب؛ حيث يجد نفسه قوياً قادرًا على فعل أشياء كثيرة، ولكنه لا يجد ما يفعله ولا يجد ما يفرغ طاقته فيه من عمل، فلذلك يلجأ إلى العبث. ومستقبل المسلمين وسير حياتهم يجب أن يُصنع على أرضهم وفي بلادهم بكدحهم وأخلاقهم بشغل أوقاتهم في كل ما من شأنه خدمة الإسلام والمسلمين.

٢ ـ الصُحبة السيئة

يقول رسول الله ﷺ: "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة".[١]

---

(١) متفق عليه.



فمن حديث رسول الله ﷺ يتضح لنا أن الناس صنفان؛ صنف صالح وصنف فاسد. والإنسان في هذه الحياة لا يستغني عن غيره، فهو يحتاج إلى غيره من أبناء المجتمع كي يعينه ويواسيه في أحزانه ويشاركه في أفراحه، ولذا يجب أن نتأنى وندقق في اختيار الرفيق لقول الرسول ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل".[1]

وقرين السوء يُعد سبباً من أسباب الانحراف، فهو شخص ابتعد عن المنهج الإسلامي في الحياة الذي جاء في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. فلا يستقر لهذا الفرد بال إلا ويتعدى حدود الله ويرتكب المعاصي، فهو بارتكابه المعاصي قد ظلم نفسه وساقها إلى الطريق المظلم طريق الهاوية والنار، طريق الذلة والعار. وبالتالي، فهو ينفث سمومه في كل مكان، فيكون سبباً في انحراف الشباب الذين يغرهم بمظهره ويسبيهم بكلماته. فإذا وقعوا في شركه، أغرقهم بالمعاصي والمنكرات، فيقضي على أخلاقهم وصفاتهم الطيبة، ويُدمر عقيدتهم السليمة، فكم من صديق جر الويلات على صديقه. فإذا صلحت الرفقة، صلح الإنسان، وإذا حدث العكس، فسد الإنسان. فالرفيق والصاحب يؤثران على عقيدة الإنسان وقناعاته الفكرية، وهذا من أعمق المؤثرات التي يهملها كثير من المربين كالآباء والأمهات؛ وأبرز أنواع الانحراف التي يتسبب فيها رفقاء السوء هو إدمان المخدرات، بالإضافة إلى العادات السيئة الأخرى، واعترف الكثير من المدمنين بكون رفيق السوء هو الذي قاده إلى الانحراف في كثير من الأحيان، ويكون تأثير شيطان الإنس أشد من تأثير شيطان الجن، وما أكثر من يزينون المعصية ويصورونها على أنها نوع من الرجولة والبطولة حتى يقع الشاب في منزلق الرذائل ولا يجد من يأخذ بيده، وربما قاده ذلك إلى الهلاك.

٣ - التفكك الأسري

الأسرة هي التربة التي ينبت فيها الشاب ويترعرع في كنفها، ولتأثيرها وضوح في صقل شخصية الشاب واكتمال شخصيته. وتمثل الأسرة المجتمع الصغير بالنسبة للأبناء،

---

(١) رواه أحمد.

ومن خلالها ينطلقون إلى المجتمع الكبير حاملين معهم ما اكتسبوه من المجتمع الأول. والأسرة تلعب الدور الرئيسي في تنشئة الأبناء ورعايتهم وحمايتهم من مخاطر الانحراف، كما تعمل الأسرة أيضًا على تدريبهم وتنمية العلاقات الاجتماعية لديهم ونقل القيم الروحية والدينية والأخلاقية إليهم؛ فعندما تُعاني الأسرة من التصدع وما يترتب عليه من صراعات وانفصال داخل الأسرة، فإن انحراف الأبناء هو أول نتائج هذا التفكك، فالطفل في مرحلة الطفولة يكون خاضعًا لتأثير الأسرة، وهو إلى ذلك سهل التأثر وشديد الحساسية، وشديد القابلية للاستهواء، عنيف الانفعال، قليل الخبرة، ضعيف الإرادة، والوالدان يعتبران القدوة الفعالة في نفس الابن، فكما يعودانه يعتاد، وكما يعلمانه يتعلم، إن كانا صالحين نشأ صالحًا، وإن كانا فاسدين نشأ فاسدًا. والتفكك الأسري من الأسباب التي تدفع إلى انحراف الشاب أو الفتاة، فإذا وجد الشاب والفتاة أن الأبوين دائمي الخلافات، فالأم في ناحية والأب في ناحية أخرى، أو أن الأب لا يأبه للبيت ولتربية أولاده، فكل هذه الأمور تتسبب في القلق النفسي عند الطفل، ويشب على هذا القلق، ثم يتجه إلى الانحراف من شرب للخمور أو المخدرات لينسى مجتمعه الصغير "الأسرة" ويحيا في مجتمع آخر لعله يجد ما لم يجده في أسرته وهذا يخلق شبابًا منحرفًا، وبالتالي مجتمعًا منحرفًا.

٤ ـ وسائل الإعلام وتأثيرها على الشباب

يذكر الاستشاري النفسي "مروان المطوع" أن الإعلام قد يكون أداةً للتنشئة الإيجابية للطفل وحماية له من أي انحرافات سلوكية أو قيمية، إلا إنه قد يكون ذا تأثير سلبي خطير على الأطفال والشباب ... والإعلام عندما يتضمن أسسًا علميةً ومنهجيةً ذات مضمون ديني ونفسي وتربوي واجتماعي، فإنه يساهم في تنمية معلومات الطفل وخبراته الحياتية في عدة مجالات. ولكن هذا لا يحدث؛ فالتليفزيون الذي يعد أقوى وسائل الإعلام تأثيرًا يشجع على السلبية لدى الطفل؛ حيث يقدم له الأفكار الجاهزة فيشعر الطفل بالكسل لأنه لا يفكر، ويؤدي التليفزيون إلى فقدان الدافع إلى العمل والحركة، ويعمل على تنمية السلوك الفردي، ويشجع على الانسحاب من

عالم الواقع، والإدمان على مشاهدته. والإعلام كما ذكرنا بشكل عام سلاح ذو حدين، ومن الممكن أن يكون نافعًا للشباب. ولكن عندما نتأمل المادة التي يعرضها التليفزيون مثلاً كأفلام الكارتون والأفلام البوليسية والرعب والإثارة والعنف والمخدرات فهل يمكن لمثل هذه البرامج والأفلام أن تنشئ شبابًا يتمتع بقدرات عقلية وخبرات اجتماعية تعينه على التفاعل الصحيح مع المجتمع والقيام بالدور المناسب في بناء الأمة؟

بالطبع، إدمان مشاهدة تلك المواد المسمومة تخلق شبابًا منحرفًا مُغيبًا عن مجتمعه وأمته، وبدلاً من أن يكون الشاب أداة بناء يصبح معول هدم. وبالطبع، فإن الإعلام لا يقتصر على التلفاز لكن باعتباره الوسيلة المرئية يكون له أثر أكبر. هناك أيضًا بعض المجلات والكتب التي تعمل على نشر أفكار هدامة لا تمت إلى ديننا أو قيمنا بصلة، وكل ذلك يؤثر في شخصية الشاب؛ لأن توجه الشاب وميوله تتأثر بالمصادر التي يتلقى منها ثقافته ومعارفه.

والإعلام المسموع أيضًا والممثل في المحطات الإذاعية وأشرطة الكاسيت له دور مهم في التأثير على الأطفال والشباب. وعند الحديث عن الإعلام المسموع، حدث ولا حرج، خاصة عند الحديث عن أشرطة الكاسيت والأغنيات التي تبثها المحطات الإذاعية؛ وكل هذه الأمور مجتمعة أو منفصلة تؤدي – وبلا شك – إلى انحراف الشباب وخروجهم عن المسار الذي ينشده المجتمع والمربون، وهناك الكثير من العوامل الأخرى، ولكننا آثرنا ذكر أبرزها لما تحتاجه هذه القضية من شرح.

كيف نتعامل مع الأبناء؟

هناك عدة طرق يجب على المربي الفاضل أن يرسخ بها عقيدة الإسلام في أذهان أولاده وبناته على العموم؛ ومن هذه الطرق ما يلي:

١ـ إدخال السرور على الأبناء

وهي من أهم الوسائل في تقوية الروابط وامتزاج القلوب وائتلافها، كما أن إدخال السرور على الأبناء يُعد من أفضل طرق القُرب، وأعظم الطاعات التي تُقرب العبد إلى رب الأرض والسماوات. ولإدخال السرور إلى القلوب المسلمة طرق كثيرة وأبواب عديدة منها ما ورد في حديث ابن عمر:

"أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن!!" ولكن كيف تدخله؟! قال: "تكشف عنه كربًا أو تقضي عنه دينًا أو تطرد عنه جوعًا.

ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن اعتكف شهرًا في المسجد؛ ومن كف غضبه ستر الله عورته؛ ومن كظم غيظه ولو شاء الله أن يُمضيه أمضاه ملأ الله في قلبه رجاء يوم القيامة؛ ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام"[(١)] ؛ وإن سوء الخُلق ليفسد الأعمال "فلا أقل من الابتسامة والبشاشة؛ فابتسامتك بوجه من تلقاه من المُسلمين لها أثر في كسب قلوبهم. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"[(٢)].

والوجه الطلق هو الذي تظهر على محياه البشاشة والسرور؛ وقال عبد الله بن الحارث: "ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ".[(٣)]

---

(١) المعجم الكبير للطبراني جـ١٢، صـ٤٥٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٢٦) .

(٣) رواه أحمد والترمذي.

وقال جرير: "ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم".[١]

كما كان ﷺ ينبسط مع الصغير والكبير يُلاطفهم ويُداعبهم وكان لا يقول إلا حقا، وإليك هاتان الصورتان من صور مُداعبته ﷺ وكسبه لقلوب صحابته.

فالأولى مع كبار السن

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا وكان رسول الله يُحبه وكان دميمًا (قبيحًا) فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يُبصره الرجل فقال: "أرسلني. من هذا؟"

فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل يلصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه وجعل النبي ﷺ يقول:

"من يشتري العبد؟" فقال: يا رسول الله – إذًا – والله تجدني كاسدًا فقال رسول الله: "لكن عند الله لست بكاسد" أو قال "عند الله غال".[٢]

أما الصورة الثانية

فهي ملاطفته للأطفال؛ وإدخال السرور عليهم .. فعند البخاري من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا وكان لي أخ فطيم يُسمى أبا عُمير لديه عصفور مريض اسمه النُغير فكان رسول الله ﷺ يُلاطف الطفل الصغير ويقول: "يا أبا عُمير ما فعل النغير".

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.
(٢) رواه أحمد وابن حبان.



وهكذا أخي المربي ما ترك رسول الله ﷺ سبيلاً إلى قلوب الناس إلا وسلكه ما لم يكن حرامًا، فإذا كان حرامًا كان أبعد الناس عنه ﷺ.

٢ ـ احترام عقلية الأبناء

يجب عليك أخي المُربي أن تحترم عقلية أبنائك وترحمهم، وأن تتعامل معهم كبشر وليس كحيوانات؛ فالضرب ليس هو الطريقة الوحيدة في التعامل؛ فهناك طرق أخرى خلاف الضرب. فيجب أن تسعى إلى تنمية قدرات أبنائك العقلية والتأدب في التعامل معهم وتبجيلهم وإجلالهم؛ فإن ذلك يجعلهم يحبوك؛ ويوقروك أكثر مما تفعل معهم؛ فتلك الطريقة في التعامل تجعل من الأولاد ذوي شأن وذوي عقل.

فلننظر إلى تعامل الرسول ﷺ مع صحابته، فقد كان ﷺ يجل من يدخل عليه ويكرمه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى وينزل الناس منازلهم ويعرف فضل أولي الفضل. وقال عليه أفضل الصلاة والسلام يوم الفتح: "من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن"(١) وقال ﷺ:

"ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه." (٢)

ومما ينبغي أن نذكرك به أخي المربي في هذا المقام ما يلي:

١- احترام من خالفك في الرأي مما فيه مجال للاختلاف ومُتسع للنظر، وعدم انتقاصه ورميه بالجهل وقلة الفهم وسوء الخلق.

٢- تعليم الأبناء احترام المتحدث وعدم مقاطعته؛ فكما نسمع لهم يجب أن يستمعوا لنا؛ فلقد قال ابن كثير رحمه الله: و"كان ﷺ إذا حدثه أحد التفت إليه بوجهه وجسمه وأصغى إليه تمام الإصغاء ولا يقطع الحديث حتى يكون المُتكلم هو الذي يقطعه".

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

(٢) رواه أحمد.



٣ ـ تعليم الأبناء حُسن الكلام والأدب

يجب علىٰ المربي أن يُعلم أولاده حُسن الكلام والأدب؛ فيجب ترسيخ معنى أن الكلمة رصاصة انطلقت ولا تستطيع أن تسترجعها مرة أخرى؛ كما يجب أن تحترم الكبير؛ وأن تتأدب في التعامل مع الناس جميعًا فلا ترفع صوتك ولا تخفضه؛ كما لا يصح الضحك بصوت مرتفع لأنه من العيب؛ ولا يجب أن تتحدث بكلمات خبيثة أو أي لفظ سمعته ولا تعلم معناه لأنه قد يكون كلمة ليست من الأدب في شيء، فيُسيء هذا إلى سُمعتك وتصرفاتك كما يجب أن يعلموا حديث النبي ﷺ عن طيب القول وحُسن الكلام، كما في قوله ﷺ: "الكلمة الطيبة صدقة".(١)

وذلك لما لها من أثر في تأليف القلوب وتطييب النفوس إنه ليس من المهم توصيل الحقيقة إلى الناس فقط، ولكن الأهم هو الوعاء الذي سيحمل تلك الحقيقة بها ..

فإذا كان الرسول ﷺ يقول: "زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا".(٢)

فمن باب أولى أن نقول للمربي الفاضل أن يزين كلامه لأبنائه بحُسن الكلام، فإن الكلام الحسن يُزيد الدعوة حُسنًا وجاذبية – وبخاصة عند النُصح؛ فالنُصح علاج مُر فليصحبه شيء من حلو الكلام. فكُن من الذين يعملون الحق ويرحمون الخلق واسمع إلى يحيى بن مُعاذ يقول: "أحسن شيء كلام رقيق يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رقيق".

---

(١) متفق عليه وهو جزء من حديث طويل.

(٢) رواه أحمد.



وكم من كلمة سوء نابية ألقاها صاحبها ولم يبال بنتائجها وبتبعاتها فرقت بين القلوب ومزقت الصفوف وزرعت الحقد والبغضاء والكراهية والشحناء في النفوس ولذلك، ثبت عنه ﷺ أنه قال:

"إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب." (١)

أخي المربي إليك هذا الموقف التربوي الذي دار فيه الحوار بين الرسول ﷺ وعائشة رضي الله عنها؛ وتحكي لنا هذا الموقف السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: "دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم. (السام أي الموت والهلاك عليك يا محمد).

قالت عائشة ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة. قالت فقال رسول الله ﷺ: "مهلاً يا عائشة". فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟

قالت: فقال رسول الله ﷺ: "قد قلت وعليكم".(٢)

فكلام الرسول ﷺ مع أهل الفجور والفسوق والكفر يحتاج منا إلى دراسة متأنية؛ ففيه البصيرة النافذة والحكمة البالغة.

٤ ـ التواضع ولين الجانب

التواضع من شيم الكرام، كما أنه يجب أن تكون متواضعًا مع أبنائك وزوجتك ووالدتك؛ فلقد كسب رسول الله ﷺ بتواضعه ولين جانبه قلوب الناس من حوله. فلقد ذكر أنس رضي الله عنه صورة من صور تواضعه عليه الصلاة والسلام فقال:

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم.



"إن امرأة كان في عقلها شيء جاءته، فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك. قال: فجلست فجلس النبي ﷺ إليها حتى فرغت من حاجتها".[1]

وعند البخاري: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له رسول الله ﷺ:

"هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد".[2]

وبهذا الأسلوب والتواضع ولين الجانب دخل الرسول ﷺ إلى شغاف قلوب الناس من حوله. أما الظهور بمظهر الأستاذية والنظر إلى المُسلمين نظرة دونية، فهي صفة شيطانية لا تورث إلا البُغض والقطيعة؛ فلقد قال الشيطان عندما لم يرد السجود لآدم عليه السلام ...

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [3]

وقد قال ﷺ: "من كان هينًا لينًا قريبًا، حرمه الله على النار".[4]

فما أحلى التواضع؛ وحُسن الخُلق مع الزوجة والأبناء؛ هذا بالإضافة إلى الناس بالخارج؛ فعلم أولادك هذه الأخلاق كي يسعدوا في الدنيا والآخرة ...

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط.

(٣) الآية ٧٦ من سورة ص.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك و البيهقي في شعب الإيمان.

٥ ـ الجود والكرم

أخي الحبيب، يجب ترسيخ بعض القيم والأخلاق الحميدة لدى الأبناء. ومن هذه الأخلاق السخاء والجود؛ ففي مثل هذه الأخلاق ما يأسر القلوب ويطيب النفوس. فعن أنس رضي الله عنه قال:

"إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى بلده وقال: أسلموا فإن مُحمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى فاقة ..." (١)

فانظر وفقك الله كيف أثر هذا السخاء النبوي على قلب هذا الرجل وجعل منه – بإذن الله – بعد أن كان حربًا على الإسلام أصبح داعيةً إليه ... وعن جابر رضي الله عنه قال: "ما سُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا ..." (٢)

ومن الجود الهدية، وقد قال ﷺ "تهادوا تحابوا" فالهدية باب من أبواب كسب القلوب وتنمية التآلف بينها ... فما بالك لو تعلم أولادك هذه الخصال الحميدة أعتقد بأنه لن يجعل أي صديق من أصدقائه يغضب منه؛ لأنه لو غضب منه أحد لأعطاه هدية ليتودد إليه؛ ويسترجع الصداقة الحميمة. وكما كان يفعل مع أصدقائه، سيفعل مع زوجته ولن يجعلها تغضب منه أبدًا فينال رضا الزوجة في الدنيا ... ورضا الرب في الدُنيا والآخرة ...

٦ ـ الرفق ...

يجب الرفق في التعامل مع الأولاد؛ ومع البنات على الأخص لأن البنات تتميز برقتهن؛ ولينهن؛ وحساسيتهن المفرطة؛ فمثلاً لو طلبت من إحداهن طلبًا وتأخرت في

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



عمله أو لم تفعله لانشغالها في عمل آخر فارفق بها؛ واصبر عليها؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إن الله رفيق يُحب الرفق في الأمر كله ..."(١)

بل الرفق مُفضل على كثير من الأخلاق؛ لذا يُعطي الله لصاحبه من الثناء الحسن في الدُنيا والأجر الجزيل في الآخرة أكثر مما يُعطيه على غيره؛ لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "إن الله رفيق يُحب الرفق ويعطي بالرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه".(٢)

ومن المواطن التي يجب الرفق فيها عند تقويم خطأ البنت لجهلها عما تفعل هل هو جيد أم خطأ؟. وانظر معي إلى هذه الصورة المُعبرة في تقويم الأشخاص عند خطئهم والتي يملؤها الرفق والرحمة؛ فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال:

"بينما أنا أُصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليَّ؟

فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فما رأيتهم يصمتونني لكني سكت؛ فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت مُعلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه؛ فو الله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني قال:

إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن".

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه ابن حبان وابن ماجه.



أو كما قال رسول الله ﷺ قُلت يا رسول الله "إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكُهان قال: "فلا تأتهم"؛ قُلت ومنا رجالٌ يتطيرون. قال: "ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم". (١)

والأمثلة على ذلك كثيرة كحديث الأعرابي الذي بال في المسجد؛ ومعاملة الرسول ﷺ للشاب الذي استأذنه بالزنا وحُسن تصرفه عليه الصلاة والسلام معه. وفيّ الجملة؛ فإن الذي ينظر إلى هذه الوسائل، يجد أنها لا تكاد تخرج عن دائرة الأخلاق، فالتزامها إنما هو التزام بالخلق الحسن الذي قال عنه ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا، أحسنهم خُلقا ..." (٢)

وقبل هذا كُله وبعده لا بد أن نُذكرك بملاك ذلك كُله وهو الإقبال على الله رب القلوب؛ ونيل محبته لحديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ حيث قال: "إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل إن الله يُحب فُلانًا فأحبه؛ فيُحبه جبريل فيُنادي جبريل في أهل السماء إن الله يُحب فُلانا فأحبوه فيُحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض". (٣)

وحسبك بمربٍ قد وضع الله له القبول في أهل الأرض؛ قال ابن حجر رحمه الله:

المراد بالقبول: قبول القلوب له بالمحبة؛ والميل إليه بالرضا عنه.

وزاد الإمام مُسلم رحمه الله:

وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل إني أبغض فُلانًا فابغضه فيُبغضه جبريل؛ فيُنادي جبريل في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فابغضوه فيبغضه أهل السماء؛ ثُم توضع له البغضاء في الأرض ... (والعياذ بالله).

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داوود.

(٣) متفق عليه.



ونتمنى من الله الهادي أن يهدي أبنائنا وأبناء المسلمين؛ وأن يجعلهم شوكةً في ظهر المغتصبين؛ والأعداء الطامعين ... هدانا الله أجمعين إلى صراطه المُستقيم ... آمين.

الفهرس

ن: 1630 تاريخ استلام: 21/8/2007

عربية للطباعة والنشر

٧-١٠ شارع السلام أرض اللواء المهندسين - تليفون: ٣٢٥٦٠٩٨-٣٢٥١٠٤٣



فن تربية الأطفال

استنبط التربويون المسلمون من النصوص الشرعية أساليب التربية للأطفال التي أرشد إليها النبي ﷺ وكونوا علوماً في التربية، ومناهج قامت على تلك الأسس النبوية الشريفة، والإسلامية القويمة.

وكان النبي ﷺ يربي الأطفال بالحنان والحب والتوجيه السليم، فطالما كان يحمل أحفاده الحسن والحسين حتى في الصلاة، وينزل من على المنبر رحمة بهم.

بل نستطيع أن نقول: إن الحياة النبوية عبادة وعادة كانت تتوقف أمام الطفولة، فيسرع ﷺ عند سماع بكاء الصغير، ويطيل السجود حتى ينتهي الحفيد من علوه على ظهره وهو ساجد، وينزل من المنبر في وسط الخطبة ليأخذ الحسن أو الحسين في حضنه لما رآه يحبو.

والكتاب الذي بين أيدينا تناول مكانة الأطفال في الإسلام، وبين كيف اهتم القرآن بالحديث عن الذرية الطيبة، ولقد أفاد في استخلاص جملة من الارشادات النافعة في تربية الأطفال، وكذلك في مواجهة مرحلة المراهقة وهي الانتقال من طور الطفولة إلى طور الشباب، والتي يخطئ كثير من الناس في التعامل مع أبنائهم فيها.

إن أطفال اليوم، هم شباب الغد، وقادة المستقبل، وإذا أحسنا تنشئتهم كان ذلك سببا في رقي المجتمع، والشعب بأسره .

من تقديم الأسا
علـي جـ
مفتي الديار

دار الفاروق
زورنا موقعنا http://www.dareifarouk.com.eg
اشتر من الإنترنت dareifarouk.sindbadmall.com



